نيجاتيف

**الكتاب : نيجاتيف**

**الكاتب : مريم حنا**

**تصميم الغلاف : محمد محسن**

**تنسيق داخلي : يوسف الفرماوي**

**مراجعة لغوية : عبد الكريم عبد الحميد**

**الطبعة : الأولى٢٠٢٠**

**رقم الإيداع:23489/2019**

**الترقيم الدولي :978-977-6727-97-7**

**الناشر : السعيد للنشر والتوزيع**

**المدير العام : لمياء السعيد**

**برج الهادي – الدور الأول - 36 ش عبد الحميد الديب – شبرا مصر**

**0222017260 – 01550096215**

**elsaidpublisher@gmail.com**

**جميع الحقوق محفوظة للناشر**

# نيجاتيف

رواية

تأليف

**مريم حنا**

ما أتعسنا حين تتحطم أحلامنا على صخرة الواقع

# شكر خاص ..

إلى الشـاعر الأسـتاذ عبـد الكريـم عبـد الحميـد عـلى توجيهاتـه ونصائحـه التـي أفادتنـي كثـيراً ، وعـلى قيامـه بالتصحيـح اللغـوي للروايـة .
شكراً جزيلاً أستاذي العزيز .

# 1

يمسك بيده كرة بلاستيكية ضخمة، بألوان أربعة من الأحمر والأزرق والأصفر والأخضر، يلقيها بيديه الصغيرتين تجاه الحائط ، ويصرخ في سعادة حين ترتطم به وتسقط على الأرض عائدةً إليه، يصفق في حرارة ويضحك في براءة مشجعاً نفسه قائلاً «جووووول» .

مهنّد الطفل الصغير ذو الأربعة أعوام، أشقر الشعر، أزرق العينين، أبيض البشرة.

تشير الساعة المعلقة على الحائط إلى العاشرة إلا خمس دقائق، يدق رنين هاتف محمول موضوع على منضدة الطعام، تخرج حنان مسرعةً من غرفة المطبخ إلى الصالة لترد على الهاتف، حنان في أواخر العشرينيات من عمرها، بيضاء البشرة ، ممتلئة القوام، قصيرة القامة، ذات شعر أشقر وعينين خضراوين. تلتقط الهاتف من على منضدة الطعام، تنظر في شاشة الهاتف فيمتعض وجهها وتتردد قليلاً ثم تضغط على زر رفض المكالمة، لازالت تمسك بهاتفها المحمول في يدها ويبدو عليها التوتر ، شردت للحظات قبل أن يعاود الهاتف رنينه، تنظر إلى الشاشة التي تومض باسم ورقم الشخص ذاته، قررت أن ترد هذه المرة، لمست سطح الشاشة ممررةً اصبعها تجاه اليسار ، ردت في عصبية وبصوت خافت ..

- ألو ، أيوه مش قولنا بلاش اتصال في وقت زي ده؟! انت عارف ان دة ميعاد رجوع جوزي من الشغل، بتقول إيه؟عايز تشوفني؟ دلوقتي؟ لأ طبعاً مستحيل، انت بتهزّر أكيد، انت عارف الساعة كام دلوقتي؟ الساعة داخله على عشره بالليل وجوزي زمانه جاي.

وبينما تتحدث في الهاتف دق جرس باب شقتها وسمعت صوت زوجها يقول ..

- افتح يامهند أنا بابا

اضطربت فور سماع صوت زوجها وأنهت المكالمة بسرعة بعد أن قالت كلمتين فقط ..

- أهو جه، سلام سلام.

- بابا جه، بابا جه ..

صاح مهند بابتهاج ، بينما حاولت هي ضبط توترها، انتشلت سلسلة المفاتيح المعلقة خلف الباب، وفتحت الباب بابتسامة متوترة.

- مساء الخير يا حنان، إزيك

قالها مجدي زوج حنان (شاب في منتصف الثلاثينيات تقريباً، أسمر البشرة، نحيف القد، أشعث الشعر، ومع ذلك فهو يملك ابتسامة صافية تمنحه جاذبية خاصة يشبه في جاذبيته وملامحه المصرية الممثل أحمد زكي ).

قبَّلها قبلتين على وجنتيها .

- مساء النور ياحبيبي، حمدالله ع السلامة

قالتها بصوت مرتعش بينما تتناول منه الأكياس البلاستيكية المملوءة بالسلع الغذائية والتي يحتاجها البيت، هكذا اعتاد مجدي أن يفعل كل ليلة بعد انتهاء عمله وأثناء عودته لبيته.

وضعت الأكياس في الثلاجة التي بالصالة ، ثم دخلت للمطبخ لتحضر لزوجها طعام العشاء، أما مهند فتأبط ساق أبيه ولازال يردد هتافه ..

- بابا جه، بابا جه

حمله أبوه على ذراعه وقبَّله قائلاً..

- حبيب بابا مهند، فين البوسه الحلوه بتاعة بابا؟

احتضن مهند أباه وقبَّله في إحدى وجنتيه، أغلق مجدي باب الشقة بقدمه حتى لا يفلت يديه من عناق ابنه .

- انزل عن بابا يامهند بابا راجع تعبان من الشغل

قالتها حنان وهي تضع أطباق الطعام على المائدة، أما مجدي فقد أجلس مهند على مقعد السفرة وجلس هو بالمقعد المجاور له .

- مش هاتغسل إيديك يامجدي؟ هاتاكل كده على طول؟!

- والله ما قادر أقوم ياحنان ، أنا ما صدقت قعدت، رجليّا مش شايلاني من التعب .

- معلش ياحبيبي، قوم اغسل إيديك على ما اجيب انا باقي الأكل .

نهض مجدي بصعوبة، دخل الحمام ليغتسل، بينما دخلت حنان المطبخ لتحضر باقي الطعام ، اعتادت هي الجلوس في منتصف المائدة قبالة مجدي ومهند ، رن هاتفها نظرت في شاشته ثم ضغطت زر إلغاء المكالمة، ثم أغلقت الهاتف نهائياً هذه المرة .

- إيه؟ مش هاتردي؟

- لأ مش مهم، دة أبويا، وانت عارفه لما بيفتح في الكلام مش بيفصل، هابقى اكلمه بعدين.

تسود حالة من الصمت أثناء تناولهم الطعام يقطعه صوت مهند..

- أكلنّي يا بابا

- كُل لوحدك يامهند، حبيبي إحنا كبرنا وبقينا بنعرف نأكّل نفسنا مش كدة ولا إيه؟ ..

ردت حنان ، ثم عقّب مجدي على رد حنان ..

- سيبيه ياماما، مهند دة حبيبي، وانا ماقدرش ازعله ..

ثم أمسك مجدي ملعقة وغرسها في طبق مهند المليء بالأرز، وضع بها القليل من حبات الأرز وقربّها من فم مهند مداعباً ..

- هَم ياجمل

- أهو دلعك فيه ده هو اللي بيخليني ماعرفش أكلمه ، وإن زعلته بيهددني بيك ويقول لي هاقول لبابا .

رد مجدي ضاحكاً ..

- ياستي سيبيه يتدلع احنا حيلتنا غيره

بعد حوالي عشرين دقيقة انتهى الجميع من تناول الطعام، جمعت حنان الطعام المتبقي ووضعتها في علب الثلاجة ثم قامت بتنظيف الأطباق، سبقها مجدي إلى غرفة النوم بعد أن غسل يديه، قامت حنان بغسل يدي وفم ابنها ثم أدخلته غرفة نومه وأنامته على سريره، اتجهت لغرفة نومها فوجت مجدي قد بدّل ثيابه بملابس النوم (بيجاما) وغط في نومٍ عميق .

- مجدي، مجدي انت لحقت نمت؟

لا يرد مجدي فقد غلبه النعاس واستسلم للنوم ، لكزته حنان برفق في ذراعه..

- مجدي قوم عايزه اتكلم معاك شوية

يرد أخيراً مجدي بصوته الناعس :

- معلش ياحنان ، مش قادر أقوم، هاموت من النعس، أجّلي الكلام للصبح

- الصبح؟! وانا بلحق اتكلم معاك الصبح؟ مانت بتقوم على ميعاد شغلك يادوب تلحق تفطر بسرعه وتنزل جري على شغلك ! أنا خلاص تعبت ، دي مابقتش عيشه دي

يعتدل مجدي في جلسته وعيناه نصف مغمضتين .

- نعم ياحبيبتي عايزه تقولي إيه؟

- عايزه اقولك انك واحشني، واحشني قوي ياحبيبي

قالتها حنان بينما كانت تدخل يدها من فتحة سترة البيجاما وتمرر يدها على صدره، مداعبةً شعره الكثيف محاولةً استثارته.

- انتي كمان وحشاني ياحبيبتي ، بس سامحيني أنا فعلاً تعبان ، سيبيني أنام دلوقتي والصباح رباح.

ثـم ارتمـى بجسـده عـلى السريـر في استسـلام تـام للنـوم ، فانتهرتـه بغضـب ..

- أنـا زهقـت بقـى ومابقتـش قـادرة اسـتحمل ، لا خـروج ولا فسـح ولا حتـى قعـاد معايـا ، دانـا مابقتـش اشـوفك إلا عـلى الأكل بـس، حـرام عليـك يامجـدي، أنـا محتاجالـك ونفـسي أقعـد معـاك قعـده حلـوه زي زمـان، طـب فاكـر ياحبيبـي أيـام خطوبتنـا ؟

أتاهـا صـوت شـخير مجـدي مـن عمـق الأحـلام ليبـدد حُلمهـا بليلـة سـعيدة كانـت تمنّـي نفسـها بهـا بـين أحضانـه .!

الأصعب من حصولنا على ما نرغبه، هو قدرتنا في الحفاظ على وجوده

# 2

عـلى أنغـام موسـيقى أغنيـة «أشـهدُ» لكاظـم السـاهر، تتمايـل يُمنـةً ويُسرةً وشـفتاها المثيرتـان تتحـركان مـع كلـمات الأغنيـة « أشـهدُ ألا امـرأةً أتقنـت اللعُبـة إلا أنـتِ» وشـعرها البنـي الطويـل يغطـي كامـل ظهرهـا « أيتهـا الشـفافةُ اللماحـةُ العاديـة الجميلـة « تسـتدير بخصرهـا الرشـيق «أشـهد ألا امـرأةً عـلى محيـط خصرهـا تجتمـع العصـور» تتطايـر بعـض خصـلات شـعرها الناعـم عـلى وجههـا وعينيهـا فتعيدهـا إلى وراء أذنيهـا بتغنـج غـير مصطنـع.» أيتهـا الشـهية البهيـة دائمـة الطفولـة» .

بالفعـل يـسرا امـرأة شـهية، رشـيقة القـوام، نحيلـة الخـصر، عـلى قـدر كبـير مـن الجـمال، في منتصـف العشرينيـات مـن عمرهـا .

وكانـت تلـك عادتهـا القديمـة كلـما شـعرت بمشـاعر سـلبية كالاكتئـاب أو الحـزن أو الوحـدة أو الملـل ، الموسـيقى والرقـص هـما العـلاج الوحيـد لروحهـا إذا مرضـت، والترياق الشـافي لقلبهـا إذا جُـرح والـذي فـور تجرعهـا إيـاه تسـتعيد عافيتهـا ويُنـزع منهـا الألم، إن الـروح التـي فـردت جناحيهـا وحلقـت بهـما عـلى أنغـام الموسـيقى فـوق قُبـح هـذا العـالم ، لـن تتخـلى عـن إحساسـها بجـمال الطـيران ، ولـن تهبـط مـرة أخـرى إلى ذاك القـاع البغيـض .

كانـت شـخصية يـسرا الحالمـة الرومانسـية هـي سـبب تعاسـتها، تزوجـت في سـن صغـيرة بعـد انتهـاء دراسـتها الجامعيـة مبـاشرةً بعـد قصـة حـب جميلـة لزميلهـا أحمـد، دامـت عامـين كاملـين، حلمـت خلالهـما بعـش الزوجيـة الـذي سـيجمعها بـه ، كانـت تعـد الأيـام والليـالي كي يـأتي ذاك اليـوم المنتظـر.

في الجامعـة كانـا لا يفترقـان، في المـدرج، في كافيتيريـا الجامعـة، حتـى في الشـارع أثنـاء إيصـال أحمـد ليـسرا، كانـا يتلكعـان في سـيرهما حتـى

يطيـلا وقـت تواجدهـما مـع بعضهـما قـدر الإمـكان، كل زميلاتهـا في سـكن الطالبـات كـن يعرفـن حكايتهـما وقصـة عشـقهما الملتهبـة، حتـى أن الفتيـات كـن يخشـين الاقـتراب مـن أحمـد والمـزح معـه مثلـما كـن يفعلـن في السـابق خشـية مـن غضـب يـسرا التـي كانـت تغـار عليـه غـيرة مُـرة، وللحـق هـو يسـتحق الغـيرة، شـاب وسـيم ، جـذاب، خمـري البـشرة وشـعره أسـود ناعـم كثيـف يشـبه في نعومتـه ولونـه وكثافتـه شـعر الرجـال الهنـود ، لذلـك كان دائـم التباهـي بـه متعمـداً رفعـه إلى الـوراء متشـبهاً بنجـوم بوليـوود ، بالإضافـة إلى عينيـه العسـليتين وخفـة ظلـه التـي كانـت تجعـل الفتيـات يتسـابقن في لفـت انتباهـه والتـودد إليـه .

في الواقـع لم تكـن وسـامة احمـد فقـط مـا يميـزه عـن غـيره مـن شـباب جيلـه لكـن ايضـاً طموحـه وذكاؤه الحـاد جعـلاه يحظـى بحـب أسـاتذته في الجامعـة للدرجـة التـي جعلتهـم يصفونـه بالعبقـري، وكانـوا يتنبـؤون لـه بمسـتقبل عمـلي باهـر .

كان في كل مرحلـة مـن مراحـل دراسـته الجامعيـة يحصـل عـلى تقديـر امتيـاز إلا في المرحلتـين النهائيتـين ، فبسـبب انشـغاله بحبـه ليـسرا وتغيبـه الكثـير عـن محاضراتـه للتسـكع معهـا في الشـوارع وعـلى المقاهـي القريبـة مـن مبنـى كليتهـما - كليـة الهندسـة - جعـل مسـتواه ينخفـض ويحصـل فقـط عـلى تقديـر جيـد، مـا أضـاع منـه فرصـة العمـل كمعيـد في الجامعـة.

فـور تخرجـه مـن الجامعـة ونظـراً لأنـه مـن أسرة ميسـورة الحـال اسـتطاع أن يتـزوج مـن محبوبتـه في الوقـت الـذي ينحـت زمـلاؤه الخريجون في نفـس دفعتـه في الصخـر كي يكونـوا مسـتقبلهم، ومنهـم مـن لازال يبحـث عـن عمـل يليـق بشـهادته الجامعيـة .

اسـتبدل أحمـد حُلمـه القديـم الـذي فشـل في تحقيقـه بـان يصبـح معيـداً بكليـة الهندسـة بحلـم آخـر جديـد وهـو السـفر خـارج مـصر والعمـل في إحـدى دول الخليـج في تخصصـه في قسـم المـواد البتروليـة ضارباً

بذلك رغبة زوجته وتوسلاتها له في محاولة منها لإبقائه بجوارها عرض الحائط، وخاصةً وأن المرتب الذي علم أنه سيحصل عليه مرتباً مغرٍ لشاب مثله في مقتبل حياته العملية، نسى أنه أيضاً في مقتبل حياته الزوجية وأن القرار أصبح قرارهما معا وليس قراراً فردياً يستحوذ عليه بمفرده !

استطاع أن يقنعها أو بالأحرى هي من استسلمت لرغبته المُلحة في السفر بعد أن وعدها بأنه سيسافر لمدة عام واحد فقط يجمع فيه مبلغاً كبيراً من المال يؤمن لهما مستقبلهما ثم يعود ليستقر معها أو ليصطحبها معه إذا أعجبه الحال هناك، في النهاية سافر وتركها وحيدة.

كانت ليسرا هواية غريبة، فهي لم تكن تهوى الرسم مثلاً أو العزف على آلة موسيقية معينة، أو حتى الغناء او التمثيل، أو أي من تلك الهوايات المتعارف عليها عند كل البشر، كانت هوايتها هي الاحتفاظ بمجموعة أشرطة الأفلام القديمة المعروفة عند مصوري الفوتوغرافيا المحترفين باسم «نيجاتيف» والنيجاتيف هو عبارة عن شريط بني طويل مكون من 36 صورة صغيرة ومتراصة بطول الشريط معكوسة الألوان، فمثلاً يظهر شعر الأشخاص داخل الكادر باللون الابيض ووجوههم باللون الأسود، واللون الأحمر يظهر باللون الأزرق واللون الأزرق يظهر باللون الأحمر، وهكذا، كانت تستمتع بفكرة تفحص شريط النيجاتيف ومحاولة تخمين الالوان الحقيقية للأشخاص وللأشياء بداخله.

أصبح النيجاتيف من الأشياء القديمة التي انقرضت واختفت بظهور الكاميرات الرقمية «الديجيتال» منذ ما يقارب العشر سنوات .

تحب يسرا فن التصوير الفتوغرافي بالأساس، والسبب في ذلك الولع بالتصوير هو نشأتها وسط عائلة تمتهن مهنة التصوير الفوتوغرافي إذا ماعتبرناه مجرد مهنة والذي كانت تعتبره يسرا فناً راقياً من اهم الفنون واحبها إلى قلبها .

كان ابوها يعمل في تلك المهنة من عشرات السنين لكنها لا تتذكره جيداً لانه مات وهي طفلة صغيرة، لم تكن قد تجاوزت الثلاثة أعوام حينها، فتولى عمها تربيتها ورعايتها والذي كان ايضاً يعمل كمصور فوتوغرافي وكان لديه استوديو للتصوير يتشاركه مع والدها قبل موته ، حظيت يسرا بنصيب الأسد في حب عمها لها أكثر من اخويها الولدين الأكبر منها واحد بعامين والثاني بأربعة أعوام .

كانت يسرا طفلة مرحة، ودودة ، خفيفة الظل ، جميلة الملامح ، وذكية ، كانت لصيقة بعمها الذي استطاع أن يحتويها ويعوضها عن حنان أبيها الذي فقدته مبكراً، كان دائماً يصطحبها معه إلى استوديو التصوير الخاص به ، لاحظ شغفها المبكر بفن التصوير ، كانت تسأله على كل كبيرة وصغيرة تخص هذا العالم الساحر بالنسبة لها ، رويداً رويداً بدأت تتعلم منه أساسيات التصوير وقواعده، حتى إنها عندما وصلت إلى سن السادسة عشرة كان يعتمد عليها اعتماداً كاملاً بل وكان يتركها تدير هي العمل في غيابه، سحرتها تلك الكاميرا التي كانت بالنسبة لها صندوق الدنيا الذي تنظر من خلال عدسته على الدنيا وتتمتع بجمالها .

عُرفت عند زبائنه ب «بنت المصوراتي» لأنها كانت تنادي عمها «بابا» وهو كان يقدمها للناس على أنها ابنته، ولم يعلم أحد أنه عمها إلا القليل جداً من الناس.

أجمل ما في الحب .. المباغتة

# 3

علت أصوات الزغاريد وأصوات دق الدفوف مع دخول العروسين ماري ومينا من باب الكنيسة مروراً بالممر الطويل المؤدي إلى مذبح كنيسة السيدة العذراء مريم ، وقف العروسان متجاورين «وقفت الملكة عن يمين الملك» حقاً كانت تبدو كملكة في فستانها الوردي الأنيق ذو الموديل الطويل المنفوش من أسفل والضيق عند الخصر ليكشف الي عن قوام ممشوق، ومما زاد رونقها تسريحتها الناعمة التي عمدت فيها على رفع نصف شعرها لأعلى مع تجعيد نصفه الآخر وتركه منسدلاً على كتفيها ومكياجها الذي اتخذ من هدوء ملامحها البسيطة بساطته ونعومته، وقف مينا بجوارها ينظر إليها في حب واعتزاز كمن امتلك مفتاح الجنة او حورية من حورياتها ، كان هو أيضاً أنيقاً فوق أناقته المعتادة، بذلته الكحلية اللون وقميصه ناصع البياض ورابطة عنقه التي هي بلون فستان عروسه جعلته يستحق أن ينال شرف لقب الملك، كان مينا أكثر وسامة من ماري، فماري كان جمالها عادياً هادئاً أما مينا فكان يشبه في وسامته نجوم السينما العالمية أو يشبه موديل من موديلات الإعلانات والأغاني الشبابية، ومع ذلك أحبها وتمنى لو امتلك هذا الجمال الهاديء .

حين سأل الكاهن ماري ..

- هل تقبلين مينا خطيباً لكِ؟

أجابت ببعض الخجل وكثير من السعادة ..

- نعم

وحين سأل الكاهن مينا ذات السؤال أجاب مينا إجابة غير اعتيادية ، وابتسم وهو ينظر في عيني ماري مباشرةً وقال ..

- نعم أقبل، بالتاكيد أقبل، ده يوم المنى بالنسبه لي

ضحك الجميع للاضافة الجميلة التي أضافها مينا، إنه مينا المختلف الغير اعتيادي وهذا سر انجذاب ماري اليه ، كان تعارفهما غريباً ومختلفاً أيضاً حيث أن ماري كانت تعمل مدربة لليوجا في أحد المراكز الرياضية في حي مصر الجديدة وعندما كانت ذاهبة إلى عملها ذات يوم ، وكانت تسير بمحاذاة الطريق ولكنها لا تسير على الرصيف وكانت مشيتها سريعة أقرب إلى الركض منه غلى السير، كنوع من التريض وكات تضع سماعات الأذن وتستمع لموسيقى حماسية لم تسمع بسببها صوت بوق السيارة التي كانت تسير خلفها والذي تكرر اكثر من مرة عساها تسمع وتستجيب ولكن دون جدوى ، لم تعِ ذلك حتى فوجئت بشيء يخبطها خبطة خفيفة من الخلف افقدتها توازنها وسقطت على إثرها أرضاً، التفتت لتجدها سيارة بي ام دبليو سوداء اللون ينزل منها شخص يقترب منها في اعتذار ..

- أنا اسف ياسودمازيل ، بس انا عمّال أكلكس لحضرتك وانتي مش سامعاني

ثم مد يده لها ليساعدها على النهوض ، وبينما كانت تنهض وتنفض ملابسها رفعت عينيها فرأت ما أربكها ، رأت شاباً وسيماً طويل القامة ذا عينين بنيتين ، يرتدي قميصاً مفتوح الزرين العلوين يكشف عن صدر كتفين عريضين كما أن القميص ذو أكمام قصيرة يكشف عن ساعدين مفتولي العضلات ، أخجلتها نظرته الواثقة فتحاشت النظر إلى عينيه قائلةً ..

- لا أبداً ما حصلش حاجه ، أنا اللي غلطانة ماكانش المفروض أمشي وانا حاطّة سماعات الودان وخاصةً ان النهارده زحمه والعربيات كتير في الشارع

- طيب انتي كويّسه؟ تحبّي أوصلك لأي مكان بالعربية ؟

- لا لا مفيش داعي أنا كويسه الحمدلله، بسيط÷ وبعدين انا

تقريبـا وصلـت ، ــنا شـغلي في الـبرج الـلي هنـاك ده

وأشارت بسبابتها إلى مبنى سكني طويل باللون الأبيض، ثم أردفت.

- اتفضل حضرتك اركب عربيتك وكمّل طريقك

- لأ انـا مـش هاقـدر امـشي إلا لمـا اطمّـن عليـكي الأول ، اتفضـلي وانـا هافضـل واقـف لحّـد مـا اتأكـد إنـك بتمـشي عـلى رجليـكي كويـس

تحركـت مـاري أمامـه متجهـة ناحيـة المبنـى الـذي اشـارت إليـه وهـي تعـرج قليـلاً بشـكل غـير ملحـوظ وحاولـت أن تبـدو مشـيتها طبيعيـة إلى أن وصلـت إلى بـاب العـمارة وهنـاك توقفـت واسـتدارت لتنظـر إلى الشـاب ولوحـت لـه بيدهـا وابتسـامة خفيفـة تعلـو وجههـا ، ابتسـم لهـا الشـاب ولـوح لهـا بيـده بـدوره ولازال يلـوح بيـده حتـى بعـد أن اختفـت مـاري عـن ناظريـه ، لم يفـق مـن شروده إلّا عـلى صـوت أبـواق السـيارات مـن خلفـه تسـتعجله بالتحـرك بسـيارته، فعـاد إلى سـيارته وركبهـا وتحـرك بهـا ولازالـت عينيـاه معلقتـان بالمبنـي الطويـل الابيـض .

في احتياجنا للحب قد نرتكب بعض الحماقات

# 4

- إنـت اتجننـت ياشريـف؟ بتتصـل بيـا في ميعـاد رجـوع جـوزي مـن الشـغل؟ إنـت شـكلك مـش هاتجيبهـا لـبر.

قالتهـا حنـان في انفعـال وهـي تضـع حقيبتهـا عـلى المنضـدة الصغـيرة بينـما تجلـس عـلى كنبـة الأنتريـه في شـقة شريـف، الشـاب الوسـيم الـذي يـشرف عـلى الأربيعينيـات، وبرغـم ذلـك حـين تـراه لا يمكنـك أن تعطيـه أكـثر مـن عشريـن إلى خمسـة وعشريـن عامـاً عـلى الأكـثر ، فهـو شـديد الاعتنـاء بأناقتـه كـما أن حرصـه عـلى ممارسـة الرياضـة بانتظـام جعـل جسـمه مشـدوداً وجذابـاً إلى حـدٍ كبـير .

- معلـش ياحبيبتـي غصـب عنـي هاتجنـن عليـكي مـن امبـارح ، مادريتـش بنفـسي غـير وانـا بتصـل بيـكي .

- يعني ماكنتش قادر تصبر لحد ما أجيلك النهارده ؟

- لأ ماكنتش قادر أصبر

قـال جملتـه الاخـيرة وقـد اقـترب منهـا ، وخلـع عنهـا حجابهـا ووضـع خديهـا بـين كفيـه وقبلهـا في شـفتيها قبلـة وفي وجنتيهـا قبلتـين

- وانـت كـمان ياحبيبـي واحشـني بـس احنـا لازم نكـون حريصـين أكـتر مـن كـده ، لـو مجـدي جـوزي حـسّ بحاجـه هاتبقـى مصيبـه .

لازال يقبلهـا وذراعـه يلتـف حـول خصرهـا وأنفاسـه الحـارة تلهـب وجههـا وشـفتيه المشـتعلتين تضرمـان النـار في شـفتيها وجسـدها ..

- إيه طيب؟ احنا هانقضي القعده في الكلام عن سي زفت بتاعك ؟

انتفضت حنان فجأة وكأن عقرباً لدغها .

- لـو سـمحت ياشريـف ماتقولـش عليـه زفـت، ده مهما كان جـوزي وأبو إبنـي ، ومـش معنـى إني معـاك دلوقتـي يبقى هاسـمحلك انـك تغلط فيه

- - بـس بـس بـس ، حصـل أيـه لـده كلـه، وبعديـن لمـا انتـي بتحبيـه

وزعلانـه عليـه اوي كـدة جايـالي ليـه ؟

- كده برضو ياشريف؟ طيب أنا ماشية

تناولـت حقيبتهـا وحجـاب رأسـها ونهضـت تسـتعد للانـصراف، فاسـتوقفها شريـف معتـذراً

- تمـشي؟ تمـشي ازاي وتسـيبيني ؟ أهـون عليـكي برضـو ؟ دانـا ماصدقـت انـك جيتـي، عمومـاً ياسـتّي أنـا

آسـف حقـك عليـا مـش هاغلـط فيـه تـاني بـس انـا غصـب عنـي يانونـو باغـير عليـكي مـوت، بمجـرد مـا بسـمع سـيرته باحـس ان نـار الغـيرة بتاكلنـي

لم تـرد عليـه ولازالـت تهـز قدمهـا في حركـة انفعاليـة وقـد أشـاحت بوجههـا عنـه .

- خلاص بقى ماتبقيش بايخه ، بحبك

أمسـك طـرف ذقنهـا بيـده وأدار وجههـا ناحيتـه ، واقـترب منهـا ثانيـةً وعـاد يقبلهـا ، فهـدأت مـن انفعالهـا وتركـت شـفتيها لشـفتيه وجسـدها ليديـه، فهمـس لهـا ..

- أما أنا محضّرلك مفاجأه هايله النهارده

- مفاجأة إيه ياحبيبي ؟

- ثانيه واحده

تركهـا واتجـه ناحيـة جهـاز مشـغل الموسـيقى (الأوديـو) ووضـع فلاشـة وضغـط زر التشـغيل فانطلقـت منـه موسـيقى (الفالـس)

- إيه ده ياشريف؟

- عمرك رقصتي تانجو قبل كده ؟

- لأ

- تحبي تتعلميه

- إحب قوي طبعاً

- طيب انا بقى هاعلمهولك ، هاتي إيدك اليمين

ناولتـه يدهـا اليمنـى ، فأمسـكها بيـده اليـسرى ، ثـم وضـع يدهـا اليـسرى عـلى كتفـه وأحـاط خصرهـا بيـده اليمنـى

- اعمـلي زي مـا هاقـول لِـك بالظبـط ، أولاً لازم ودانـك تبقـى مـع الموسـيقى ، وإيـدك اليمـين تكـون مفـروده عـلى آخرهـا ، ايـوه كـده بالظبـط، وراسـك مرفوعـه لفـوق ، ارجعـي خطـوه لـورا برجلـك اليمـين وبعدهـا خطـوه برجلـك الشـمال بحيـث رجليـكي الاتنـين يبقـوا جنـب بعـض، أيـوه برافـو عليـكي ، وبعديـن ارجعـي خطوتـين تـاني برجلـك اليمـين ورجلـك الشـمال ، صـح كـده ، واحـد ، اتنـين ،واحـد اتنـين تلاتـه ، هايلـه ، وبعديـن مِيـلي بضهـرك لـورا عـلى الآخـر ، ماتخافيـش أنـا سـاند ضهـرك بدراعـي .

كادت تسقط فضحك شريف قائلاً ..

- مـش قولتلـك ماتخافيـش أنـا سـاندك بدراعـي ، يـلّا نعمـل الخطـوه دي تـاني عـاوزك تثقـي في نفسـك أكـتر مـن كـدة كل ماكنتـي واثقـه في نفسـك كل مـا كان أدائـك أحسـن، يـلا ياسـت الـكل ورينـي ، أعـادت ميلهـا للخلـف بظهرهـا لكـن بأكـثر ثقـة هـذه المـرة ففعلتهـا ولم تسـقط أيـوه كـد ياقلبـي شـاطره شـوفتي بقـى لمـا وثقتـي في نفسـك عملتيهـا صـح ازاي ؟ ودلوقتـي بقـى لفـي لفـه كاملـه وانـا ماسـك إيـدك اليمـين بإيـدي اليمـين ، اللـه، هايلـه يانونـو، يـلّا بقـى نبتـدي مـن الأول .

برغـم زيـادة وزنهـا إلا أن حنـان شـعرت في تلـك اللحظـة بأنهـا أخـف مـن الريشـة ، تحلـق كالطائـر الحـر في الفضـاء الواسـع ، أخذتهـا رقصـة التانجـو إلى بعيـد ، بعيـد جـداً أبعـد مـا يكـون عـن حارتهـا وحيّهـا الشـعبي الملـئ ضجيجـاً وصخبـاً لطالمـا كرهتـه وحلمـت بمثـل هـذا العـالم الـذي تعيـش فيـه الآن ولـو للحظـات قليلـة ، نسـيت بيتهـا في حـي الحسـين وزوجهـا وابنهـا بـل ونسـيت نفسـها، لم تفـق مـن شرودهـا إلا عنـد توقـف

موسـيقى الفالـس .

- تعرف أنا نفسي في إيه ياشريف؟

- نفسك في إيه ياقلب شريف ، أأمري أوامرك تطاع

وانحنى لها كعبدٍ ينتظر أوامر ملكته

- نفسي أرقص «سلو»

- بس كد÷؟ حالاً

تركهـا واقفـة عـلى حطـام عالمهـا القديـم الـذي اسـتبدلته للتـو بعالمهـا الجديـد المبهـر واتجـه ناحيـة جهـاز تشـغيل الأغـاني وضبـط مـؤشره عـلى موسـيقى «مونامـور» وعـاد إليهـا وكأنـه يحمـل بـين كفيـه ورود‌اً تنتظـر أن يكللهـا بهـا كـما يليـق ببنـات الـذوات .

- بـصّي بقـى ياسـتّي ، الرقـص ده مختلـف عـن التانجـو ، دي رقصـه ناعمـه زي الموسـيقى الـلي انتـي سـامعاها دي ، سـيبيلي نفسـك خالـص وأنـا هاوريـكي ازاي تسـتمتعي بيهـا .

اسـندت رأسـها عـلى صـدره تسـتأنس بدقـات قلبـه في أذنيهـا ، كطفـل أتعبـه اللعـب فارتمـى في حضـن أمـه تـاركاً رأسـه عـلى صدرهـا طالبـاً للراحة والأمـان ، همـس لهـا شريـف بـأرق عبـارات الحـب والشـوق لكنهـا لم تـرد كلماتـه بكلـمات أرق منهـا كـما اعتـادت بـل تركـت أذنيهـا للموسـيقى وروحهـا هائمـة في هـذا العـالم الـذي يـروق لهـا ، حتـى توقـف الموسـيقى لم يفصلهـا عـن هيامهـا وشرودهـا وظلـت تتحـرك بنعومـة مغمضـة العينـين لـولا أن شريـف طبـع قبلـة عـلي وجنتها...فأفاقـت .

- الموسيق خلصت ياحبيبتي

- معقوله! بسرعه كده؟

- شكلِك رُحتي لدنيا تانية خالص ، للدرجه دي استمتعتي بالرقصه ؟

- مـن زمـان وانـا نفـسي أرقـص سـلو ، انـت تجنـن فعـلاً ياشريـف ، شـكراً ياحبيبـي عـلى كل الـلي بتعملـه عشـاني .

سحبها شريف من يدها وأجلسها على ساقه فور جلوسه على مقعد الأنتريه

- ياحبيبتي أنا وعدتك من يوم ماعرفتك إني هاعوضِك عن كل اللي اتحرمتي منه مش هاخلّي في نفسك حاجه

- أنا فعلاً من يوم ماعرفتك وانا نفسي مابتروحش لحاجه ، انت كل مرة بتفاجئني بحاجة أحلى من اللي قبلها

- ولسه ياعمري طول ماحنا مع بعض هابهرِك مفاجآت

- تعرف أكتر حاجه بحبها فيك إيه ياشريف؟

- إيه ياقلب شريف؟

- إنك مختلف ، مش شبه حد ، بتعرف تبسط نفسك وتبسط الست اللي معاك حتى لو بحاجات بسيط÷

- وانتي تعرفي اكتر حاجة بحبها فيكي إيه؟

- إيه؟

- الميكس اللذيذ اللي في شخصيتك

- ازاي يعني ؟

- يعني جامعه مابين حاجتين عكس بعض تماماً ، جمالك الأوربي يعني البشرة البيضا والعيون الخضرا والشعر الأصفر ، وفي نفس الوقت البنت البلدي اللي من حي شعبي في طريقة كلامك وحركاتك وحتى جدعنتك ، حاجه كده نادره ما قابلتهاش قبل كده.

- يعني انا عاجباك فعلاً ياحبيبي؟

- عاجباني بس؟ دانتي مجنناني ، إنتي تعجبي الباشا ياباشا انت ياباشا.

ضحكت حنان ضحكة رقيعة تناسب الموقف

- مش تقومي بقى تعمليلي الحاجه اللي بحبها زي مانا عملتلك الحاجه اللي بتحبيها ؟

- تقصد أرقصلك بلدي؟

- وهو في أحلى من البلدي يابلدي ياطعم انتَ

- بعـد الرقصتـين الهاديـين دول عايـزني أرقصلـك بلـدي ؟ وده ينفـع برضـو؟

- ينفـع ونـص طبعـاً، إنتـي عارفـه إني باحّـب الرقـص البلـدي وانتـي بصراحـه تجننـي وانتـي بترقصيـلي بلـدي ، يـلّا قومـي وانـا هاشـغل لـك الاغنيـة الـلي بتحبـي ترقـصي عليهـا.

ثم قام بربط رابطة عنقه حول وسطها فغمزت له بإحدي عينيها.

- ماشي

أدار محـرك مشـغل الموسـيقى عـلى أغنيـة «ده عينـه منّـي وانـا عينـي منـك انـت «

تعـرف حنـان أنهـا امـرأة فاتنـة ومثـيرة، تـرى ذلـك في عيـون رجـال منطقتهـا الذيـن فـور رؤيتهـا تمـر بالشـارع تـكاد تخـرج عيونهـم مـن بـين جفونهـا ، تشـعر بتلـك العيـون تخـترق جسـدها الفاتـن وتسـمع تأوهاتهـم تتخلـل مسـام جلدهـا الناعـم فتبالـغ في مشـيتها المختالـة لتزيدهـم إثـارة وفتنـة لتسـمع منهـم مـا يشـبع أنوثتهـا الطاغيـة، وتـرى في عيونهـم شـهوة تحنـي الفـوز بهـا .

ولم يكـن كل ذلـك بجديـد فهـي منـذ دخولهـا سـن العـاشرة وبعـد أن بـدأت علامـات الأنوثـة تـبرز في جسـدها الغـض ، بـدأت أنظـار الرجـال تحاصرهـا وكأن الجميـع في سـباق مـن يلتهمهـا قبـل الآخـر ويفـوز بهـا دون غـيره، تمنـى الجميـع لـو مّـد يـده وقطـف ثمارهـا التـي نضجـت فجـأة بعـد أن كانـت طفلـة تلعـب مـع أبنـاء وبنـات الحـارة كباقـي الأطفـال، فاضطـر والدهـا أن يلبسـها الحجـاب كباقـي الفتيـات في منطقتهـم الشـعبية محاولـة منـه كي يخفـي بعـض جمالهـا خوفـاً عليهـا ، فأبوهـا هـو المسـؤول عنهـا وعـن تربيتهـا منـذ مـوت أمهـا بعـد ولادتهـا بعـام واحـد ولم تـترك لـه غيرهـا

ابنـة وحيـدة وهـماً ثقيـلاً، رفـض أبوهـا الـزواج بامـرأة أخـرى بعـد وفـاة زوجتـه الأولى وأم ابنتـه مراعـاةً لمشـاعر حنـان، ولأنـه بسـيط الحـال لا يملـك تكلفـة الـزواج مـرة أخـرى، فضـل أن يقتطـع مـن دخلـه البسـيط مبلغـاً صغـيراً كل شـهر ليحتفـظ بـه حتـى تكـبر ابنتـه وتصـل إلى سـن الـزواج فيتمكـن مـن تجهيزهـا وتسـتيرها .

بعـد إتمـام دراسـتها وحصولهـا عـلى مؤهـل متوسـط (دبلـوم فنـي) لم يوافـق أبوهـا في البدايـة عـلى عملهـا كبائعـة في إحـدى المكتبـات خوفـاً عليهـا مـن نظـرات الرجـال ومضايقتهـم لهـا ، لكنـه اضطـر للموافقـة أخـيراً نظـراً لضيـق العيـش ولضعـف راتبـه كعامـل بسـيط في محطـة السـكة الحديـد، والـذي لم يكـن كافيـاً لسـد احتياجاتهـا وطلباتهـا التـي لا تنتهي،وحتـى يتسـنى لهـا أن تسـاعده في تجهيـز نفسـها كعـروس عـلى أعتـاب الـزواج وخاصـةً أن طالبـي الـزواج بهـا كُـثُر .

منـذ أن وعـت حنـان عـلى جمالهـا الـذي رأتـه في عيـون الرجـال اتخـذت جمالهـا كـرأس مالهـا وأيقنـت أن هـذا الجـمال هـو الـذي سـيتيح لهـا فرصـة الـزواج مـن فـارس يأتيهـا عـلى حصـان أبيـض ويطـير بهـا بعيـداً عـن تلـك المنطقـة الشـعبية التـي تقطنهـا وعـن كل المناطـق التـي تشـبهها لتـدوس بقدميهـا عـلى الفقـر الـذي عانـت منـه طيلـة سـنوات عمرهـا الثمانيـة عشر في بيـت أبيهـا ، انتظـرت شـهوراً والشـهور أصبحـت سـنين حتـى وصلـت إلى عامـين وهـي تعمـل بالمكتبـة تنتظـر هـذا الفـارس الـذي لم يأتهـا قـط، فـكل مـن تقـدم لخطبتهـا مـن شـباب منطقتهـا الذيـن لا يقلـون فقـراً عـن فقرهـا بـل قـد يزيـد ، إلى أن أتاهـا مجـدي مـدرس اللغـة العربيـة الـذي يعمـل في المدرسـة الإعداديـة للبنـين والتـي تبعـد عـن شـارعها بمسـافة ليسـت قليلـة ، بـدأ مجـدي يـتردد عـلى المكتبـة لـشراء بعـض الكتـب والملخصـات الخارجيـة لاسـتخدامها في الـدروس الخصوصيـة التـي يعطيهـا لبعـض التلاميـذ، لفـت انتبـاه مجـدي جـمال حنـان اللافـت ، فـزاد تـردده عـلى المكتبـة وبـدأ في

اختراع الحجج كأسباب مقنعة لتواجده بالمكتبة ، مرة لشراء كراسات وملازم، ومرة لتصوير بعض الأوراق على ماكينة تصوير المستندات بالمكتبة، ومرة لشراء بعض الأقلام .. وهكذا

لاحظت حنان نظراته الخجلة لها بين الفينة والأخرى ، كان يختلس النظر إلى عينيها الخضراوين وخصلة شعرها الذهبية المتطايرة عمداً من تحت حجابها المعقود على شعرها بطريقة مثيرة اكثر منها احتشاماً ، ولفت انتباهها مجدي برغم سمار بشرته وشعره الأشعث إلا أنه يشبه أحمد زكي في جاذبيته وخفة ظله وحتى في ملامحه إلى حدٍ كبير .

أصبحت نظراته لها أكثر جرأة حين بادلته هي نظرات الإعجاب ما شجعه على طلب يدها للزواج ، لم تتفاجأ حنان بطلبه بل كانت تنتظره ، فبرغم أنه لم يكن هو فارس أحلامها المنتظر إلّا أنه على الأقل أفضل المتقدمين لها ، وعلى الرغم من اعتراض أم مجدي على هذه الزيجة نظراً لسمعة حنان التي تسبقها بأنها فتاة لعوب تهوى مشاغلة الرجال، بالإضافة لرأيها بأن ابنها يستحق زوجة أفضل من حيث المؤهل العلمي والنسب المشرف مثلها في ذلك مثل أي أم تتمنى لابنها الأفضل ، برغم كل تلك الاعتراضات فقد تمت الخطبة والزواج في غضون شهرين حيث أن العريس (جاهز من مجاميعه) لديه شقة وإن كانت في نفس منطقتهم الشعبية لكن يكفي أنها لن تتحمل هي أو أبوها أي من أعباء الزواج فشقته لا ينقصها سوى العروس التي ستغمرها وتغمر حياته بالسعادة والحب.

أعيش وحدة الجرثومة التي قضى ديتول على كل رفقائها !

# 5

كان أحمد ويسرا برغم حبهما الكبير مختلفين تماماً لدرجة التناقض، هي تنظر للدنيا من خلال شريط النيجاتيف ذي الألوان الغير واقعية، بينما هو كان ينظر للدنيا من خلال عدسة ترى الأشياء بوضوح وبحجمها الطبيعي ، هي خيالية أكثر من اللازم ، بينما هو واقعي أكثر من اللازم، هي كانت تعتبر أن الحياة أقدار وأن لكل إنسان قَدر محتَّم لن يحدث له سواه مهما فعل، بينما هو يرى أن الحياة فرص وعلى المرء أن يكون متأهباً باستمرار لالتقاطها متى لاحت في الأفق كلقطة الكاميرا يضغط زر التقاط الصورة في اللحظة المناسبة لتخرج الصورة في أجمل حالاتها ، وهذا ما جعله يقبل فوراً وبلا تردد ذاك العرض المغري بسفره للعمل فإحدي شركات البترول بإحدى دول الخليج باعتبار أنها فرصة عظيمة قد لا تعوض وقد يندم إذا ما تركها تفلت من يده .

كانت يسرا دائماً ما تغلّب قلبها على عقلها حتى عند اتخاذ أهم قرارات حياتها وهو الزواج ، قالت لها صديقتها أنها وأحمد غير متشابهين وأن ذلك قد يكون سبباً كافياً لفشل زواجهما ، لفتت انتباهها أيضاً أنها شخصية رومانسية تحتاج دائماً إلى نصفها الآخر ليكملها أما أحمد فبسبب طموحه الجامح يمكن أن ينسى أقرب من له في سبيل تحقيق هذا الطموح، إلّا أنها لم تستجب لنصيحة صديقتها وأجابتها برومانسيتها المبالغة ..

- حبنا هايلغي كل الفروق اللي بيننا، هايخلينا ندوب في بعض ونبقى كيان واحد.

تَذُكر يسرا أيضاً حين اشتكت لصديقتها من انشغال أحمد عنها وأنها تشاجرت معه لهذا السبب، ذكَّرتها صديقتها حينها بنصيحتها لها

قبل زواجهما وأنها كانت محقة في تخوفها ، فأجابتها بنفس الرومانسية المبالغة قائلة ..

- تعرفي يا نُها أنا بحبه لدرجة إيه؟ بحبه لدرجة إني أقدر أستحمل زعله مني وخصامنا ولا استحملش بعده عني، بحبه لدرجة إن حتى لو كنا متخاصمين ومدينني ضهره واحنا نايمين يكفيني إنه نايم جنبي ، شامّة ريحتُه، سامعة دقات قلبه، نَفَسُه مدفيني في عز البرد .

- كم أشقتها تلك الرومانسية !

كل تلك الأحداث والمواقف كانت تمر بمخيلتها وهي ترقص والدموع تسيل من عينيها بلا توقف، تراها أمام ناظريها تماماً كأنها تشاهد شريط «نيجاتيف» بائس حزين ، بعدما أفرغت شحنة الغضب التي كانت تجثو على صدرها ، فكّت حزام الرقص من حول خصرها وألق به على الأرض، وجلست على سريرها تلهث والعرق يتصبب من جبينها وجانبي وجهها، ارتشفت نقطة ماء من الكوب الموضوع على الكومودينو بجوار سريرها محاولةً إطفاء لظىً مشتعلة ناره في جوفها، أخرجت بعدها كتاباً لتقرأه لكنها سرعان ما أعادته مكانه في درج ذات الكومودينو دون أن تفتحه! ليس ثمة أسوأ من الشعور بالوحدة القاتلة بين أربع جدران باردة ، نهضت متجهةً إلي المطبخ صنعت لنفسها كوباً ساخناً من النسكافيه، عادت به إلى غرفتها ووضعته على شريكها في الوحدة ذلك الكومودينو البائس الذي اضطرت إلى التخلي عن الثنائي الآخر له حين اختارت مع أحمد غرفة نومهما تلك بسبب ضيق مساحة الغرفة وكأنها كانت تعقد مع هذا الكومودينو اتفاقاً ضمنياً بأنها هي من سكون مؤنسته كما أنه سيكون مؤنسها في وحدتهما، لذا لن يحتاج لكومودينو آخر يستأنس به .!

أخرجت مجموعة النيجاتيف التي تحتفظ بها في ذات الدرج وسط أشيائها القديمة المحببة إلى قلبها ، كتلك السلسلة الفضية التي أهداها

لهـا أحمـد في بدايـة ميـلاد حبهـما كهديـة لعيـد ميلادهـا والتـي تحمـل مـن جهـة أول حـرف مـن اسـمه ومـن الجهـة الأخـرى أول حـرف مـن اسـمها ، بالإضافـة إلى زجاجـة العطـر التـي كانـت لأمهـا التـي ورثتهـا عـن جدتهـا فاصبحـت معتقـة ذات رائحـة نفـاذة تسـتخدم منهـا القلـة القليلـة لتحتفـظ بهـا أطـول فـترة ممكنـة ، وأشـياء أخـرى . تناولـت أحـد الأشرطـة الفيليميـة وقربتـه إلى عينيهـا، ابتسـمت حـين رأت صـورة أحمـد زوجهـا ، كان في المرحلـة الثانويـة أنـذاك آثنـاء رحلـة مدرسـية مـع زملائـه بالمدرسـة ومعلميـه، كان يبـدو في الصـور خفيـف الظـل يصنـع حـركات بيديـه كمقالـب تصويريـة لزملائـه، ظلـت تقلـب في كل المجموعـة حتـى وصلـت إلى نيجاتيـف زفافهـما، دمعـت عيناهـا حـين رأت نظـرة أحمـد لهـا في الصـور والتـي كانـت تعدهـا بأنـه لـن يتركهـا أبـداً وأنهـا سـتكون معـه أسـعد زوجـة في الوجـود ، أو هكـذا تصـورت .!

تنهدت تنهيدة حارة ثم زفرت ..

- هـو فـين أحمـد؟ ده سـافر وقـال عّـدولي، كأن الغربـة حِلْيـت ليـه! وعـدني إنـه هايرجـع ياخـدني في خـلال شـهور قليلـة واهـو شـهر جـر شـهر وسـنة جـرت سـنة لمـا بقـوا سـنتين وهـو آدي وش الضيـف، وكـمان لا بيرحـم ولا بيسـيب رحمـة ربنـا تنـزل ، طلبـت منـه يخليني اشـتغل مارضيـش قـال لي انـه خايـف عليـا مـن البهدلـه والـلي هاتعوزيـه هابعتهولـك، وهـيَّ الحيـاة فلـوس وهدايـا وبـس يااحمـد؟! حتـى ماما مـش عايـزه تيجـي تعيـش معايـا هنـا قالتـلي انهـا مابتحبـش تسـيب بلدهـا ولا بيتهـا وكانـت عايـزاني أنـا الـلي أروح أعيـش معاهـا في البلـد وده صعـب وماقـدرش اعملـه أنـا اتعـودت عـلى العيشـة هنـا في القاهـرة حبّيـت الزحمـة والنـاس وصـوت العربيـات . أعمـل إيـه بـس يـاربّي لا مرتاحـه لوحـدي ولا قـادره أرجـع أعيـش مـع أمـي !! أووف ايـه الزهـق ده بـس؟! لازم أعمـل حاجـة تخرجنـي مـن الزهـق ده.

أحضرت هاتفها المحمول وفتحت صفحتها على فيس بوك، أول شيء قامت بتفحصه هو قائمة طلبات الصداقة والتي كانت تحوي أكثر من عشرين طلب صداقة لم تقبل منها سوى طلب واحد فقط كان لرجل، قبلت طلبه بعد الولوج إلى صفحته وتفحصها بشكل دقيق، تلك هي عادتها قبل قبولها أي طلب صداقة تتفحص صفحة طالب الصداقة جيداً ومن ثم تقرر ما إذا كانت تقبل طلبه أم ترفضه .

كانت هذه الصفحة لشخص يدعى «حازم المهدي» صورة بروفايله تكشف عن وسامة متفردة، ويبدو من منشوراته أنه مثقف ويهوى التصوير الفوتوغرافي، أعجبتها صفحته فأي شيء يمت للتصوير الفوتوغرافي بصلة تتعلق به وكأنها وجدت ضالتها ، بدأت تضع بعض علامات الإعجاب على بعض الصور التي قام هذا الشخص بتصويرها ويطلب من أصدقائه بالصفحة أن يبدون رأيهم في تصويره ، لفت انتباهها صورة لفتاة تشبهها كثيراً في الملامح ولكنها ترتدي زي فلاحة وتضع على رأسها منديلاً بأوية وسبت فاكهة يميل قليلاً ناحية اليمين وترتسم على ملامحها ابتسامة صافية، أحبت تلك الصورة كثيراً وكتبت في خانة التعليقات ..

- كإني شايفه نفسي في المرايا

جاءها الرد سريعاً في خانة الرد ..

- اعتبريها هديتي ليكي يازميلتي العزيزة، نوّرتي صفحتي المتواضعة .

ثم أرفق بالرد وجهاً باسماً

استوقفتها كلمة «زميلتي» دخلت تفتش داخل خلايا مخها علها تتذكر زمالة هذا الشخص في الجامعة أو مرحلة ما قبل الجامعة ، لكنها لم تتذكره، أفاقت من شرودها في محاولة تذكره على صوت نغمة رسالة واردة في صندوق الرسائل فتحت الرسالة وجدتها من الشخص ذاته ..

- ها لسه ما افتكرتنيش؟

دهشت من إصراره على أنه يعرفها وهي لم تتذكر حتى أنها رأته من قبل ..

- في الحقيقة مش فاكراك، ممكن تفكّرني بيك لو سمحت؟

- أنا حازم زميلك في جامعة القاهرة وانتي ممكن تكوني مش فاكراني لاننا اتقابلنا مرة واحدة بس في بداية السنة الأولي من الجامعة اتعرفنا على بعض بشكل سريع وبعد كده ماتقابلناش تاني لأن كل واحد فينا دخل كلية مختلفه ، أنا دخلت كلية فنون جميلة قسم تصوير فوتوغرافي وانتي دخلتي كلية الهندسة قسم مواد بترولية (يضحك) أنا حتى استغربت ساعتها انك دخلتي القسم ده، عادةً البنات مابتحبش تدخله .!

صمتت قليلاً محاولةً أن تتذكر كل تلك التفاصيل لكنها فشلت للمرة الثانية ، شعر حازم بذلك فاستطرد ..

- شكلك ناسياني فعلاً ، عموماً أنا سعيد إنك بقيتي عندي في الأصدقاء، أنا بعتلك طلب الصداقة من فترة بس انتي ماقبلتهوش غير النهارده .

- معلش أصلي مش باهتم بالفيس بوك خالص إلّا على فترات بعيده ، هو انت عندك استوديو تصوير؟

- أيوه عندي استوديو صغير كده على قدّي، فتحته بعد مااتحرجت بحوالي سنتين ، كنت قبلها باشتغل فوتوجرافر حر يعني بعمل «فوتو سيشن» للعرايس وأعياد الميلاد والكابلز للمخطوبين وكده يعني ، لحد ما كونت قرشين كويسين فتحت بيهم الاستوديو بتاعي

- كويس جداً برافو عليك ربنا يوفقك.

- على فكرة المكان مش بعيد ومكانه ما يتوّهش ، تحبي أكتبلك العنوان تيجي تشرفيني واهي فرصة آخدلك كام كادر حلوين إنتي

وشـك فوتوجونيـه جـداً .

أسـعدتها الدعـوة وشـعرت بأنهـا فرصـة جيـدة للخـروج مـن وحدتهـا وعمـل شيء محبـب لديهـا وهـو التصويـر، تذكـرت وقـت أن كان عمهـا يغمرهـا تصويـراً بأوضـاع مختلفـة وهـي تضحـك ، وهـي تتقافـز ، وهـي تلعـب، وهـي ترسـم عـلى وجههـا ملامـح «بـوز البطـة» .

كـما تذكـرت أيضـاً في تلـك اللحظـة الحاسـمة كـوب النسـكافيه الـذي صـار بـارداً .!

ماذا فعلتِ بي كي أبحثُ عنكِ في كل مكان؟

# 6

في اليـوم التـالي للحـادث الـذي وقـع لمـاري، وفي تمـام التاسـعة صباحـاً حيـث بدايـة عملهـا في المركـز الريـاضي فوجئـت بالشـاب الـذي صدمهـا بسـيارته قـد أتى ومعـه باقـة مـن الـورود الحمـراء منسـقة بشـكل أنيـق يـشي برقـة حاملـه، حـين رأتـه ارتسـمت عـلى ملامحهـا كل علامـات التعجب والاسـتفهام !!!

- صبـاح الخـير، أنـا جـاي وجايبلِـك معايـا بوكيـه الـورد ده عشـان أعتذرلـك عـن الـلي حصـل منـي امبـارح، تسـمحي تقبـلي إعتـذاري ؟

ثـم مـد لهـا يـده بباقـة الـورود، لجمـت المفاجـاة لسـان مـاري وظلـت مشـدوهة للحظـات قبـل أن تمـد يدهـا لتتنـاول منـه الباقـة ، ثـم وجـدت أخـيراً بعـض الكلـمات المتقطعـة نطقـت بهـا ..

- أنـا ..أنـا مـش عارفـة أقـول لـك إيـه؟! مـيرسي لذوقـك، بـس .. بـس مكانـش فيـه داعـي تكلّـف نفسـك .

و نظرت للباقة ثم أردفت ..

- وخاصةً إن شكل البوكيه غالي يعني .

- مفيـش حاجـة تغـلا عليـكي ، دانـا واللـه مامْـت مـن امبـارح كل مـا آجـي أحـط راسي عـلى المخـده أفكـر فيـكي ، قصـدي أفتكـرك وافتكـر إني خبطتـك بالعربيـة فضمـيري يأنبنـي وأحـسْ بالذنـب ، عشـان كـده مـا صدقـت الصبـح جيـه قمـت مـن بـدري روحـت اشـتريتلك البوكيـه دة وجيتلـك هـوا.

فعاجلتـه مـاري وقـد تبدلـت ملامحهـا إلى الجديـة وأفيقـت مـن دهشـتها قائـلاً:

- انـا قلـت لحضرتـك إنـه ماحصلـش حاجـه والخبطـه كانـت بسـيطه ، ثـم انـا أسـفة جـداً مـش هاقـدر أقبـل منـك البوكيـه ده .. أتفضـل

أعادت له باقة الزهور .

- ليه كدة بس ياموديمازيل؟ يبقى انتي كده مش قابله أسفي!

- لـو عـلى أسـفك أنـا قبلتـه خـلاص مـن امبـارح ، لكـن البوكيـه اسـفه مـش هاقبلـه ، وبعـد إذنـك عشـان انـا عنـدي كلاس دلوقتـي، وفيـه نـاس مسـتنييني جـوه في الصالـه .

بتطردينـي يعنـي ؟ وانـا الـلي جـاي مخصـوص عشـان أعتذرلـك يكـون ده ردّ فعلِـك ؟!

- لا أبـدً أنـا مـش بطـردك لا سـمح اللـه ، المـكان مكانـك وحضرتـك تنـور، بـس أنـا قولتلـك إني مـش باقبـل هدايـا مـن حـد.

- دي مش هديه ، دي ....

- خلاص ياستاذ من فضلك

- أوكي ياموديمازيل براحتك .. بعد إذنك

غـادر الشـاب وقـد شـعر بالخجـل مـن طريقـة مـاري الجافـة معـه ، تركهـا في حـيرة مـن أمرهـا تتسـاءل ، مـن هـذا الرجـل غريـب الأطـوار؟ ولمـاذا يتعامـل معـي بهـذا اللطـف الزائـد؟ هـل هـذه هـي طريقتـه في التعامـل مـع كل النـاس ؟ شـخص غريـب فعـلاً .!

مـاري فتـاة متحفظـة جـداً برغـم تربيتهـا المنفتحـة! فهـي خريجـة مـدارس «الفوريـر» حصلـت عـلى المعهـد العـالي للباليـه منـذ خمس سـنوات ، كانـت مـن أمهـر راقصـات الباليـه في فـترة دراسـتها بالمعهـد، وكانـت تنـوي امتهـان رقـص الباليـه لـولا تعرضهـا لحـادث سـير أثنـاء سـفرها مـع أسرتهـا إلى الغردقـة بالبحـر الأحمـر في صيـف السـنة النهائيـة لهـا بالمعهـد أدت إلى إصابتهـا بكـسر في العمـود الفقـري جعلهـا تجلـس شـهوراً طويلـة بالبيـت ملازمـة للفـراش ، وخضعـت للعـلاج الطبيعـي وللعمليـات الجراحية والأدويـة العلاجيـة فتحسـنت حالتهـا الصحيـة قليـلاً اقـل مـما كانـت تتوقـع فسـاءت حالتهـا النفسـية ودخلـت في حالـة اكتئـاب إلى أن نصحتهـا

صديقة لها بممارسة اليوجا بعد أن أخبرتها بفوائدها العديدة الروحية والنفسية والجسدية ، استجابت ماري لنصيحة صديقتها وانضمت إلى فريق ممارسة اليوجا في أحد المراكز الرياضية ، ومنذ الجلسة الاولى بدأت تتحسن حالتها النفسية بشكل ملحوظ، وفي خلال أسابيع قليلة تحسنت حالتها الصحية أيضاً، حتى أنها في خلال شهور من ممارسة تمارين اليوجا الاستشفائية تعافت تماماً ولم تعد تشكو من الآلام السابقة في ظهرها، بالإضافة إلى التغير الجميل الذي طرأ على شخصيتها ، أصبحت أكثر هدوءاً وسلاماً بل وأكثر تفاؤلاً أيضاً ، ما جعلها تفكر في احتراف اليوجا لتنفع الناس بما انتفعت هي به، وبالفعل أصبحت مدربة يوجا بعد أن كانت متدربة، وفي نفس المكان الذي تعلمت فيه ممارسة اليوجا .!

أكملت يومها في عملها وهي مشغولة بذاك الرجل الغريب الذي ظهر في حياتها فجاة والذي أربكها بتصرفاته الأكثر غرابة، ظلت مشغولة به حتى بعد انهائها عملها وعودتها لبيتها ، حين خلدت للنوم وتمددت على سريرها واضعة ذراعيها خلف رأسها تساءلت ...

- ياترى اللي انا عملته معاه ده صح ولّا غلط؟ يعني كان المفروض أقبل منه بوكيه الورد ولّا لأ؟ أقبله ازاي وانا ماعرفوش؟! طب وإيه يعني ؟ دة زي ما قال لك اعتذار مش هديه، برضومكانش ينفع أقبله ، بس تلاقيه بيقول عليا دلوقتي اني قليلة الذوق، ما يقول اللي يقوله وانا مالي؟! اما غريبة صحيح ، لأ بسّ انتي جيتي عليه بألجامد اوي وأحرجتيه وهو مشي زعلان، الله طب مايمشي زعلان أنا مالي ومالة اصلاً خايفه على زعله ليه؟! إيه اللي جرالك ياماري ؟ من غمتى بتنشغلي بحد قوي كده؟

تنهدت تنهيدة عميقة لا تعرف سببها ، ثم أغلقت الإضاءة وأغمضت جفنيها طلباً للنوم .

استيقظت في اليوم التالي على صوت أمها وهي تزيح ستائر الغرفة.

- قومـي يامرمـر، قومـي ياقلـب مامـي ، ناموسـيتك كحـلي، السـاعة بقـت تسـعة وانتـي لسـه نايمـه !

انتفضت ماري من على السرير

- ايـه ده يامامـي ؟ سـايباني نايمـه لحـدّ دلوقتـي برضـو ؟ ده كلام؟ أدينـي اتأخـرت على شـغلي

- مانتـي متعـوده تصحـي لوحـدك كل يـوم اشـمعنب النهـاردة اتأخـرتي كـده في النـوم؟ لـولا اني دخلـت صحيتـك كان زمانـك لسـه نايمـه

- أصلي مانمتش كويس الليله دي

قالتهـا وهـي تقبـل جبـين أمهـا ، تناولـت بعدهـا منشـفة الوجـه واتجهـت للحـمام .

- مانمتيش كويس ليه ياحبيبتي مالِك ؟

- مفيش يامامي عادي كان عندي أرق بس مفيش حاجة ماتقلقيش

خرجـت مـن الحـمام بعـد حـوالي خمـس دقائـق وجـدت أمهـا قـد أعـدّت لهـا وجبـة الافطـار

- تعالي بقى كُليلِك لقمه قبل ما تنزلي

- لأ يامامـي لقمـة ايـه؟ مفيـش وقـت انـا يـادوب اخـش البـس بسرعـه وانـزل جـري عـلي الشـغل .

دخلـت بسرعـة غرفتهـا وارتـدت ملابسـها في ثـوانٍ معـدودة وخرجـت مسرعـةً، سـحبت حقيبتهـا بينـما ترتـدي الفـردة الأخـرى مـن حذائهـا الريـاضي

- طب حتى خديلك ساندوتش كُليه وانتي نازلة علي السلم

- لأ مش مهم ، هاابقى آكل أي حاجه في السنتر ، يلّا باي باي

قبّلـت أمهـا وهرولـت عـلى درجـات السـلم ، وصلـت محـل عملهـا في أقـل مـن خمـس دقائـق ، اعتـذرت لصاحبـة العمـل عـلى التأخـير ، أخبرتهـا

صاحبـة العمـل أن شـخصاً سـأل عنهـا، فقالـت مندهشـة ..

- واحد سأل عليا أنا؟ مين ده؟

- أنا

أتاهـا صوتـه مـن خلفهـا ، اسـتدارت لتجـده هـو ، نظـرت لـه وهـي تضـع يدهـا في وسـطها وتجـز عـلى شـفتها السـفلى ولسـان حالهـا يقـول ..

- إنت برضو ؟؟!!

لكنه عاجلها قبل أن تنطقها

- المرة دي أنا جايلِك في شغل؟

- شغل؟!

- أيـوة، جـاي احجـز عندكـو كـورس يوجـا، مـش برضـو بتدربـوا رجالـة؟ ولّا السـنتر سـيدات بـس؟

- لأ طبعاً بندرب كل الناس ستات ورجاله وأطفال كمان

- جميل، أنا بقى جاي عشان اتدرب

اعتدلت في وقفتها، ثم نزلت بنبرة صوتها الحادة إلى نبرة أقل حدة

- اتفضـل معايـا في اوضـة الانتظـار، هاعـرّف حضرتـك الأنظمـة والمواعيد اختـار منهـم النظـام والمواعيـد الـلي تناسـبك .

في غرفـة انتظـار الزبائـن جلسـت تـشرح لـه الأنظمـة والمواعيـد، فاختـار لنفسـه ثلاثـة أيـام بالأسـبوع ، ناولتـه اسـتمارة مـلء البيانـات ، كتـب فيهـا بياناتـه ، ثـم أعادهـا إليهـا ، نظـرت في الاسـتمارة فلفـت نظرهـا اسـمه .. مينـا عـادل عبدالمسـيح .. قرأتـه بصـوت عـالٍ .

- شـوفتي الصدفـة العجيبـة انتـي مـاري وانـا مينـا يعنـي لـو حطينـا الإسـمين جنـب بعـض هايبقـوا مـاري مينـا

رمقته بنظرة حنق ، فعاجلها قائلاً ..

- والله ماقصد حاجة انا باهزر بس

- ممكن اعرف حضرتك عرفت إسمي منين؟ -قالتها بحده-

- لما سألت عنك في الريسيبشن مكونتش عارف إسمك فأديت مواصفاتك لموظفة الاستقبال فقالتلي اسمك ماري ، بسيطه يعني، ايه هو اسمك سر مش عايزه حدّ يعرفه؟

لم ترد على سؤاله ، وعادت لتنظر في استمارة العضوية وراجعت باقي البيانات بعينيها سريعاً ..

- طيب تقدر حضرتك تتفضل تدفع الاشتراك في الريسيبشن والكورس بتاعك هايبتدي من بكره بإذن الله .

- وطبعاً انتي اللي هاتدربيني؟

- أفندم؟

- أنا قصدي أسال هو حضرتك اللي هاتدربيني ولّا حد تاني؟

- السبت والاتنين أنا اللي هادرِّبك مع الجروب بتاعي ، أما يوم الأربع هاتدربك كابتن دينا مع الجروب بتاعها

- يعني بكرة انتي ، زي الفل يبقى أشوفك بكره ، سلام !

للمرة الثانية تربكها تصرفات هذا الشاب الوسيم ، والتي لا تنكر على الأقل بينها وبين نفسها أنه استطاع أن يلفت انتباهها ، وانها بدأت تنشغل به وتفكر فيه حتى وإن كانت تتعامل معه بجدية وبحذر.

لا تندم على شيء لم تمتلكه لأنك ربما لو امتلكته لأذاك .!

# 7

عـاد مجـدي مبكـراً جـداً عـلى غـير عادتـه ، فقـد اعتـاد أن يخـرج في تمـام السـابعة صباحـاً قاصـداً المدرسـة الإعداديـة للبنـين التـي يعمـل بهـا وبعـد انتهـاء اليـوم الـدراسي يتوجـه مبـاشرةً إلى مركـز الـدروس الخصوصيـة الـذي يعمـل بـه كعمـل إضـافي يسـاعده عـلى تحمـل أعبـاء الحيـاة الزوجيـة كـرب أسرة لـه زوجـة وابـن بالإضافـة إلى أمـه التـي وإن كانـت لا تعيـش معـه في بيـت الزوجيـة إلا أنهـا تقيـم في شـقة قريبـة مـن بيتـه اعتـاد أن يزورهـا فيهـا بشـكل شـبه يومـي وإعطاءهـا بعـض المـال فهـو بـارٌ بوالديـه منـذ صغـره ولازال بـاراً بأمـه بعـد وفـاة أبيـه منـذ أكـثر مـن عشريـن عامـاً .

اليـوم شـعر بإعيـاء وبالـكاد أكمـل يومـه المـدرسي ولكنـه وجـد نفسـه غـير قـادر عـلى مواصلـة عملـه الإضـافي في مركـز الـدروس الخصوصيـة فاعتـذر لتلامذتـه وعـاد لبيتـه ليسـتريح .

أضيـف عـلى شـعوره بالإعيـاء شـعورا آخـر لم يكـن ينقصـه، شـعور بالضيـق، حـين عـاد لبيتـه و لم يجـد زوجتـه بالبيـت ، نظـر في سـاعته وجدهـا تشـير إلى الحاديـة عـشر والنصـف ، ليـس الوقـت موعـد إحضـار ابنهـما مـن دار الحضانـة، أيـن ذهبـت إذن؟! هاتفهـا فوجد هاتفهـا المحمول مغلقـاً، سـاوره القلـق والشـك، القلـق خشـيةً أن تكـون قـد تعرضـت لمكروه، والشـك لأنـه يشـعر بتغيرهـا تجاهـه في الأيـام الأخـيرة، زادت مـرات خروجها مـن البيـت، تغلـق هاتفهـا أحيانـاً ، ولا تـرد أحايـين كثـيرة ، لم تعـد تشـتكي وتتذمـر لإنشـغاله عنهـا مثلـما كانـت تفعـل دائمـاً في السـابق، تسـاءل .. لمـاذا؟ هـل لأنهـا اعتـادت الوضـع؟ أم أن ثمـة خطـبٌ مـا ؟!

لم يكـن مجـدي شـكاكاً بطبعـه، بـل عـلى العكـس تمامـاً هـو يثـق بزوجتـه أيمـا ثقـة، لكنـه بـات يخـشى هـذه الثقـة، ويخـشى أن ينـدم يومـاً عليهـا ، جلـس عـلى الأريكـة في صالـة شـقتهما يجـتر الذكريـات وعينـاه

معلقتـان عـلى بـاب الشـقة، تذكـر كيـف عرفهـا وكيـف أحبهـا، وكيـف ومتـى تجـرأ وطلبهـا للـزواج، ومـاذا كان رد فعـل أمـه حـين كشـف لهـا عـن نيتـه في الـزواج بهـا، خرجـت زفـرة حـارة مـن بـين شـفتيه محدثـاً نفسـه ..

- رأيتهـا عـلى حـين غـرة، جذبتنـي العينـان الخضراوتـان، بـل انتشـلتني مـن وحـدتي، أشـعرتني بأُنـس غريـب لم أستشـعره مـن قبـل في حـضرة امـرأة، احتضنتـي تلـكي العينـين وأنـا البِكـر الـذي لم يلـق بنفسـه في حضـن امـراة غـير حضـن أمـي، اقتلعتنـي مـن وحـدتي الموحشـة وأدخلتنـي جنتهـا الخـضراء، عيناهـا مـروجٌ واسـعةٌ، بـراحٌ لا يمكـن للـرائي رؤيـة مـداه، بيـاض جلدهـا الصـافي كبيـاض لـبن ثـدي أمـي وأنـا بعـد رضيـع، شـفتاها حـين تبتسـم تتحـولان إلى قطعتـي فراولـة شـهية النظـر لذيـذة الطعـم، وجنتاهـا حـين تحتقنـان خجـلاً تصبحـان كالتفـاح الأمريـكاني، جمالهـا الأجنبـي وخفـة ظلهـا المصريـة مزيـج يُذهِـب اللُـب ويرفـرف بالقلـب، خصلتاهـا الهاربتـان مـن شـعرها والمطلتـان في شـقاوة مـن نافـذة حجابهـا والسـاقطتان عـن عمد عـلى جبينهـا الغـض تـشي بنعومـة ملمسـه، ولونـه الأشـقر كلـون سـبائك الذهـب الخالـص تنعكـس عـلى عينيـك تجـبرك عـلى إغماضهـما فتـأبى إلا أن تسـتزيد مـن جـمال لمعتـه المحببـة لبـصرك، حـين تتحـدث تخـرج الكلـمات متراصـة كنغـمات لحـن أغنيـة عذبـة ، مشـيتها المتغنجـة كإحـدى راقصـات الباليـه الـلاتي رأيتهـن يومـاً في عـرض أوبـرالي عـلى شاشـة التلفـاز، شـعرت مـن تلـك اللحظـة وأمـام كل تلـك التفاصيـل القاتلـة أننـي لسـتُ أحبهـا فحسـب، بـل أتنفسـها، أستنشـقها، أعيـش بهـا، مـع كل شـهيق يدخـل رئتـيَّ أستشـعرها فأحبـس أنفـاسي لا أريـد أن أخرجهـا كي تظـل تحتـل كل نسـيج مـن أنسـجتي وتتغلغـل في كل خليـة مـن خلايـاي ، لم أطـق صـبراً ولا احتـمالاً لهـذا الفيضـان الـذي اجتاحنـي، خلتنـي سـأموتُ بعـد دقيقتـين أو ثانيتـين أو ربمـا لحظتـين، فـكان أمامـي خيـاران لا ثالـث لهـما .. إمـا أن أبتعـد عـن هـذا الفيضـان، أو أن أتـرك نفـسي لـه وأصبـح جـزءاً منـه،

استجمعتُ كل قواي وفاتحتها في رغبتي امتلاكها خشيةً أن يسبقني قاطفٌ غيري ويقطف ثماري اليانعة ، نعم هي ثماري أنا وحدي وأنا الأحق بها من غيري، لم اصدق أذناي حين همست لي بالموافقة ، أحسستُ أن باب الجنة الذي انتظرت دهراً أن يُفتح، قد فُتح لي أخيراً، فُتح على مصراعيه حاثاً إياي على الولوج والتمتع بما لذ وطاب من الخيرات ولن يمنعني أحد ، حتى أمي المسكينة حين رفضت زواجي بها استخدمتُ كل الحيل الممكنة وغير الممكنة في إقناعها، عدتُ طفلاً صغيراً يخبط على صدره راجياً أمه أن تسمح له باللعب بلعبة خطرة عليه، قبلتُ يديها وجبينها ، وحين لم تنفع كل تلك الحيل وما شابهها، أدعيتُ غضبي وحزني منها ، وخاصمتها، نعم خاصمتُ أمي لأجلها، لم يكن خصامي لأمي حقيقياً ولكن الخدعة التي هداني إليها تفكيري كنوع من الضغط عليها كي توافق، رشَحت لي من البنات الكثيرات، القريبات منا والبعيدات، بنات الجيران والصديقات، بنات العائلات والحسناوات، المعلمات الفضليات والموظفات، أسماءٍ لا حصر لها ولا أعداد، تمسكتُ بحقي في الزواج ممن اشتهتها نفسي، وأنا الذي لم أشته يوماً امرأة، وأنا الذي لا أعرف في حياتي سوى العمل والاجتهاد، بعدما قابلتها أصبتُ بالعمى عن كل نساء الأرض إلاها، أراهن جميعاً ولا أرى سواها، ، وأمام إصراري وعنادي وافقت أمي في النهاية على ارتباطي، برغم عدم اقتناعها بفتاتي، إلا إنني أصررتُ بكل قوتي، وأنا الذي لم أخالف أمي طيلة حياتي، أنا الطفل المطيع، والمراهق الخنوع، والشاب الهاديء العاقل، أصبحتُ ابناً عاقاً عاصياً قنوطاً، هكذا تصورتُ نفسي وأنا انتزع موافقة أمي انتزاعاً . قالت لي أمي .. اذهب يابني تزوج ممن تحب ما دمتَ اتخذت القرار .

يوم زواجي بحبيبتي ، شعرتُ وكأنني قد امتلكتُ الكون بين يديَّ ، كأنني أمسكتُ الشمس بكفيَّ، وها هي زهرتي الجميلة تتفتح كل يوم

أمـام ناظـريَّ، أصبـح حضنهـا هـو مـلاذي مـن متاعـب الدنيـا وهمومهـا، ألقـي كل ليلـة أثقـالي عـن كاهـلي تحـت قدميهـا، فأرتـاح لصحبتهـا، وأسـتطيبُ برفقتهـا، وأُفتـتن برقتهـا وفتنتهـا، لكـن لمـاذا لم تعـد مثلـما كانـت؟ لمـاذا يحـدث معـي مـا لم يكـن في الحسـبان؟ أخـشى أن أفقدهـا وأعـود وحيـداً كسـالف زمنـي، أعـرف أن تقصـيري في حقهـا مؤخـراً هـو السـبب فيـما أعانيـه الآن، لكـن ألم أفعـل كل ذلـك مـن أجلهـا؟ مـن أجـل إرضـاء طموحهـا ، تلـك الفرسـة الشرسـة التـي لا تكـف عـن جموحهـا، كيـف كنـت سـأروضها لـو لم أملـك زمـام أمـوري أو فقـدت اللجـام؟! آآآآه يـا «حنـان» لـو تعرفـين مـا في قلبـي مـن غليـان، قلبـي الـذي لـو فتحتيـه لانفجـر في وجهـك كالـبركان ، قلبـي الـذي ولجتيـه بنظـرة واحـدة دونمـا اسـتئذان، عـودي ياحبيبتـي كسـابق عهـدي بـكِ، شـجرةً تظللنـي بأوراقهـا الوارفـة مـن حـر الأيـام، وحضنـاً يدفئنـي في الليـالي البـاردة ياحلـوة الكَلِـم واللسـان، وسـأعدك أنـا بالنسـيان، فـكل مـا يُعتَمـل في صـدري سـيذهبُ أدراج الريـح مـع أول لمسـة مـن يديـكِ، وأول قبلـة مـن شـفتيكِ وأول ضمـة بـين ذراعيـكِ ، وسـأتراجع عـن شـكي وحـيرتي وخـوفي وغـيرتي وسـأذكرحينها فقـط أنـكِ سـكني وبيتـي، وأنـكِ جنتـي .

من أجل الحب

# 8

جاء مينا في الموعد المحدد لكورس اليوجا، جلست ماري على الأرض قبالة المتدربين والذين بينهم مينا، بدأت تشرح لهم ماهية اليوجا وفوائدها للإنسان، جلس مينا في الصف الأوسط بين الصفوف الثلاث يتابع ماري بعينين مدققتين ملؤهما التركيز والانتباه، يرقب حركة يديها وشفتيها، اكتشف شخصية أخرى لماري غير تلك التي تتعمد إظهارها على ملامح وجهها الجادة، شعر أنه أمام شخصية ساحرة، وكأن ماري خلعت قناع الجدية الذي ترتديه طيلة الوقت ولبست بدلاً منه ابتسامة صافية أنيقة ، يداها الرشيقتان تتحركان بانسيابية وعذوبة كأنها تحتضن آلة الكمان وتضرب على أوتارها فتخرج من بين أصابعها ألحاناً عذبة أو كأنها قائد أوركسترا بارع يقود فرقته الموسيقية ويشير إليهم بيديه لينفذوا تعليماته فتخرج الأنغام متناغمة مدهشة ، تحب ماري اليوجا حد العشق، عند ممارستها مع فريق أو حتى بمفردها تشعر وكأنها على موعد مع حبيب، تغمرها السعادة والراحة والسكينة، تتحدث عن اليوجا وكأنها تصف معشوقها .

قالت بصوت هادىء وعميق ..

- اليوجا هي اتحاد بين الروح والعقل والجسد، أول من عرفها هم الهنود منذ أكثر من خمسة الآف عام ، وهي ليست من الطقوس الدينية ولكن نوع من التأمل يمكن لأي شخص مهما كانت ديانته أو معتقده أن يمارسها، ولليوجا فوائد عدة منها .. تنظيم عملية التنفس، والمساعدة على الاسترخاء والهدوء، والمساعدة في التخلص من التوتر والقلق وأي مشاعر سلبية يمكن أن تصيب الإنسان، عند ممارستك لليوجا تصبح في حالة تامل وفي أقصي حالاتك الروحية كما أنها تجعلك في اتصال مع الله ومع الكون ومع نفسك الداخلية، تهذب النفس

وتقومها، تبدل أفكارك السلبية بأخري ايجابية ، كما أنها مفيدة ايضاً لعلاج الكثير من الأمراض الجسدية كآلام الظهر والروماتيزم، ووالسكري والضغط، ولها أثر فعال في التخسيس وتخفيف الوزن ونحت الجسم والرشاقة، كما أنها لا ترتبط بسن أو نوع أو حجم الجسم او وزنه، فهي للأطفال والكبار وللرجال والنساء وللاجسام البدينة والنحيفة علي حدٍ سواء، وبما أنكم اخترتم ممارسة اليوجا التي هي بمثابة رياضة روحية إذن فقد اخترتم تغيير أنفسكم للأفضل ثم اردفت:

- كانت تلك مقدمة سريعة عن اليوجا وفوائدها والآن حان وقت التدريب العملي، مستعدين؟

صاح الجميع بصوت حماسي اكتسبوه من حماسها ..

- مستعدين

بدأت تدربهم على بعض الحركات البسيطة التي تناسب المبتدئين ، بعد انتهائها من الدرس الأول من التدريب والذي استمر قرابة ساعة طلب مينا التحدث إليها على انفراد ، تعجبت ماري من طلبه لكنها استجابت له ، اتجه كلاهما إلى قاعة الانتظار وجلسا إلي منضدة علي مقعدين، ساد الصمت بينهما لمدة وجيزة استجمع فيها مينا شجاعته ثم بادر بالحديث..

- مودمازيل ماري ، في الحقيقة إنا عايز أتكلم معاكي في موضوع مهم وحساس بس ارجوكي ماتفهمنيش غلط.

عقدت ماري حاجبيها في استفهام ..

- موضوع إيه؟ وليه متصور إني هافهمك غلط؟

- يعني ، يمكن عشان طريقة تعارفنا كانت غريبة شويه، فده يمكن مخليكي متحفظه في التعامل معايا أو خايفه مني

- من فضلك من غير مقدمات ادخل في الموضوع على طول لأني عندي كلاس تاني بعد نص ساعة

- طيب حتى مش هاتطلبيلي حاجة اشربها ؟ أنا ضيفك برضو
زفرت في ضيق
- طيب طيب خلاص ، أنا هادخل في الموضوع على طول، بصراحة كدة ومن غير لف ودوران أنا معجب بيكي .
- افندم؟
- قولتلك من غير ماتفهميني غلط، هي دي الحقيقة أنا معجب بيكي جداً من أول مرة شفتك فيها لما خبطتك بالعربية ، أول ما عيني جت في عينك وانتي بتنفضي هدومِك حسيت فيهم بحنية غريبة رغم إنك بتحاولي تخفيها ورا التكشيرة والملامح الجامدة
ارتبكت من مغازلته وكلماته الرقيقة ولكنها تداركت ..
- من فضلك ...
- انا مش بعاكسك صدقيني،أنا غرضي شريف
- تقصد إيه؟
- في اليوم اللي شفتك فيه دة مانمتش ، كنت كل ما آجي أغمض عينيا أشوفك قدامي، لدرجة إني فكرت أنزل بالليل بالعربية أدوَّر عليكي في نفس المكان، وعملت كدة فعلاً نزلت وجيت الشارع هنا أدور عليكي زي المجنون وكان متهيألي إني هالاقيكي لكن طبعاً مالقتكيش .
ابتسمت ماري و تابع مينا كلماته
- طبعاً مش مصدقاني واكيد بتقولي في سّرك عني ده يا إما كذاب يا إما مجنون لكن د اللي حصل فعلاً صدقيني ، وفي اليوم التاني وانا مكونتش نمت أصلاً جيتلك من الصبح وجبتلك بوكيه الورد عشان أعتذرلك وهي بصراحة كانت تلكيكة عشان أشوفك لكن طبعاً حضرتك رفضتي تاخدي الورد ورجعتيني قفايا يقمّر عيش.
اتسعت ابتسامة ماري وأطرقت خجلاً ، فاستطرد مينا قائلاً..
- فكرت ممكن أتقرب منك إزاي وانتي مش مدّياني فرصة، قلت

لنفسي مفيش غير إني أشترك في كورس اليوجا وبكده أضمن إني اشوفك اكتر من مرة في الأسبوع و لوحتي في وسط الناس مش مهم ، المهم إني أشوفك

ردت ماري بصوت رقيق غير الصوت الذي حدثته به منذ قليل ..

- يعني انت اشتركت في الكورس بس عشان تتقرّب مني ؟

- بصراحة ّه، وانا معنديش شك في ذكائك وعارف انك فهمتي ده لوحدك

- وبعدين؟

- وبعدين ياستي هاكون أسعد إنسان في الدنيا لو وافقتي تتجوزيني

تورد خدا ماري وقبل أن تجيب عاجلها مينا :

- بصي، أنا مش عايزك تردي عليا دلوقتي، خدي وقتك في التفكير ، وأنا لحين ما يوصلني ردك مش هاجي السنتر تاني عشان مكونش باضغط عليكي واكون بأثر او باشوش تفكيرك .

ثم أخرج من جيب قميصه كارت وناولها إياه ثم أردف ..

- وده الكارت بتاعي عليه أرقام تليفوناتي الأرضي والموبايل، هاستنى ردك ولازم تعرفي اني هاكون أسعد أنسان في الدنيا لو طلبتيني وبلغتيني موافقتك ، سلام يا أجمل بنت قابلتها في حياتي .

غادر مينا وتركها تتأمل الكارت الذي يحمل أسمه وأرقام هاتفيه، أبهرتها طريقته في عرضه للزواج بها وهامت مع جملته الأخيرة «يا أجمل بنت قابلتها في حياتي» تلك الجملة التي كانت بمثابة الحجر الذي ألقي في بركة ماء ساكن والتي حركت بداخلها مشاعر دفينة قد وأدتها منذ خمس سنوات بعد أن تعرضت لقصة حب فاشلة جعلتها تقلع عن فكرة الزواج، بعد حادث السيارة الذي تعرضت له وأدى إلى إصابتها في ظهرها فبدلاً من أن يقف بجوارها حبيبها والذي كان يُحَضِّر معها لحفلة خطوبتهما فوجئت به يختفي تماماً من حياتها ولا

يردعـلى هاتفهـا ولا يـأتي لزيارتهـا وبعـد حـوالي شـهر مـن الحـادث أرسـل لهـا مـع احـد أصدقائهـما يعتـذر عـن عـدم قدرتـه الاسـتمرار في علاقتهـما وإنـه يحلهـا مـن أي إرتبـاط بينهـما، كان وقـع صدمتهـا فيـه أكـثر إيلامـاً مـن الأصابـة التـي أحدثهـا لهـا ذاك ألحـادث، مـا جعلهـا تدخـل في حالـة اكتئـاب وتفقـد الرغبـة في الحـب والـزواج بـل في الحيـاة ككل إلى أن ظهـر مينـا في حياتهـا ويبـدو أنهـا قـد بـدأت في التفكـير في العـدول عـن قرارهـا السـابق، عـادت في ذلـك اليـوم وتختلـج بداخلهـا مشـاعر متداخلـة ، سـعادة وخـوف، شـاردة كأول مـرة قيلـت لهـا فيهـا كلمـة «أحبـك» حـين كانـت آنـذاك إبنـة التاسـعة عـشرة مـن عمرهـا ، نفـس الـشرود ، نفـس الهيـام، نفـس السـعادة ، ونفـس الخـوف أيضـاً .

لاحظـت أمهـا شرودهـا فاقتربـت منهـا وجلسـت بجوارهـا عـلى طـرف السريـر بينـما كانـت مـاري تتامـل كارت المحبـة ..

- مالك يامرمر؟ وايه الكارت اللي في إيدك ده؟

ردت مـاري وهـي تنظـر في الفـراغ بصـوت أقـرب إلى الهمـس منـه إلى الـكلام:

- تصوري يامامي أنا جاني عريس النهارده!

صاحـت أمهـا متهللـة، فمنـذ حـادث مـاري وهـي تدعـو اللـه كل يـوم أن يرسـل لهـا الشـخص المناسـب الـذي ينسـيها مـا حـدث لهـا في المـاضي ويجعلهـا تعـدل عـن فكـرة العـزوف عـن الـزواج .

- عريـس؟ بجـد يامرمـر؟ عريـس مـين؟ ومنـين ؟ وعرفتيـه ازاي؟ وانتـي رأيـك إيـه؟

- بالراحـة يامامـي إهـدي يـا حبيبتـي وانـا هاقولـك كل حاجـة، فاكـرة اليـوم الـلي رجعـت فيـه مـن الشـغل وكنـت بعـرج كـدة عـلي خفيـف بسـبب خبطـة العربيـة الـلي اتخبطتهـا تحـت العـمارة في الشـغل؟

- ايوة فاكرة

- أهو الشاب اللي خبطني بعربيته ده هو اللي عايز يتجوزني

- معقولة!

- آه تخيلي، وتخيلي كمان إنه جاني تاني يوم وجابلي معاه بوكيه ورد عشان يعتذرلي بس انا طبعاً مارضيتش آخد منه بوكيه الورد ورجّعته بيه، تصوري بعدها عمل إيه ؟

- إيه؟

- اشترك في كورس اليوجا عندنا في السنتر عشان يتعرّف عليا، والنهاردة فاجئني بطلبه الجواز مني.

- وواضح طبعاً انك موافقة !

- لأ طبعاً يامامي أنا لسة موافقتش ، أنا محتاجة أفكر ، وبعدين انتي عارفة رأيي في موضوع الجواز ده من زمان .

- يا بنتي ياحبيبتي ، انسي بقى اللي حصلك زمان، انتي مش أول واحدة تحب وتكون على وشك الارتباط ومايحصلش نصيب ، عادي بتحصل ، وبعدين مش كل صوابعك زي بعضها، ياما في شبان زي الفل واولاد أصول وانتي ياحبيبتي طيبة وتستاهلي كل خير ، مش يمكن ربنا بعتلك الشاب ده عشان يعوضك عن السنين اللي عدّت عليكي من غير جواز، دانتي اللي في سنك اتجوزوا وخلفوا ومعاهم بدل العيل اتنين وتلاتة وانا نفسي أفرح بيكي بقى يامرمر عشان لو مُت أموت وانا متطمنة عليكي .

- بعد الشر عنك يامامي ماتقوليش كده انتي عارفة إن لو جرالك حاجة ماقدرش أعيش لحظة واحدة من بعدك ربنا يطوّلي في عمرك ياست الكل .

احتضنت أمها وقبلت يدها ، فربتت أمها على كتفها ..

- عموماً ياحبيبتي خدي وقتك في التفكير ولو وافقتي خليه يجي يقابلني ويخطبك مني ومن سامح أخوكي، واللي فيه الخير يعمله ربنا.

- صح عندك حق .. اللي فيه الخير يعمله ربنا

بعد أسبوع تمت خطبة ماري ومينا،وبدأت السعادة تعرف طريقها لماري مرة أخرى بعد أن هجرتها لاعوام، أحبت مينا وتعلقت به وحبها له جعلها تحب نفسها اكثر وتكتشف نفسها من جديد ، ومينا أيضاً تعلق بها وكان يتفانى في إسعادها .

كما أن الإهمال يميت الحب فإن الاهتمام يولد الحب

# 9

نهضت يسرافي ذلك اليوم من نومها نشيطة تملؤها الحيوية والسعادة على غير عادتها! كانت الساعة الثانية عشر ظهراً موعد استيقاظها اليومي، نظرت إلى نفسها في المرآة وابتسمت، اغتسلت وتناولت فطورها وقهوتها الصباحية كي تكتمل حالتها المزاجية الجيدة، ارتدت زياً أنيقاً، بلوزة باللون الأحمرذات أكمام قصيرة جداً كشفت عن ذراعين مستيرين رائعين، وبنطالاً من الجينز الأزرق قصير نوعاً ما كشف عن كاحلين يحملان ساقين يشبهان في لونهما ولمعتهما عمودين من الرخام المصقول، وأكملت أناقتها بصندل باللون الأسود ذي كعبٍ عالٍ جعل كعبي قدميها الحمراوين يبدوان كحبتي كريز تعتليان طبق من الكعك الشهي، ولم تنس اللمسات الأخيرة لتزداد الطلة البهية بهاءً، قامت بطلاء أظافرها الطويلة المعتنى بها جيداً باللون الأحمر القاني مما أضفى على بياض يديها مزيداً من الجمال ، أطلقت لشعرها العنان فأنسدل على ظهرها في نعومة لتتطاير بعض خصلاته على وجهها النضر فتزيدها إثارةً وجاذبية.

كانت كمن على موعد مع السعادة أو كأنها ذاهبة لموعد غرامي ، نعم هذه طبيعة يسرا ، الاهتمام بمظهرها ولكن هذه المرة بالغت في هذا الاهتمام وهي نفسها لا تدري سبب هذا الاهتمام وهذه المبالغة.!

سحبت حقيبتها السوداء صغيرة الحجم ذات الشريطين الرفيعين باللون الأحمر على جانبيها وحقيبة أخرى من البلاستيك بها قطعتين من ملابسها تعرف أنها ستحتاجهما في مشوارها .

خرجت من شقتها بالزمالك أرقى أحياء القاهرة ، ركبت سيارتها قاصدةً استوديو تصوير حازم في وسط البلد، حازم ذاك الرجل الذي عرفته منذ سويعات قليلة لكنها تشعر في قرارة نفسها أن ثمة قواسم

مشـتركة بينهـما، تلـك القواسـم جعلتهـا تسـتجيب لدعوتـه بزيارتـه في الاسـتوديو لتتعـرف إليـه أكـثر، ولـكي يلتقـط لهـا بعـض الصـور الفوتوغرافيـة والتـي سـتمنحها فرصـة الوقـوف أمـام الكاميـرا مـرة أخـرى بعـد ان افتقدتها لسـنوات .

لم يصـدق عينيـه حـين لمحهـا أمـام بـاب الاسـتوديو تحـاول قـراءة اللافتـة الموضوعـة أعـلاه لتتاكـد مـن العنـوان واسـم الاسـتوديو كـما كتبـه لهـا حـازم في تلـك المحادثـة الاليكترونيـة ليلـة أمـس .

نهـض مبتهجـاً مـن عـلى مقعـده مرحبـاً بهـا ترحيبـاً يليـق بهـا هـو الـذي يعـي تمامـاً كيـف تُعامَـل النسـاء .

- أهلاً أهلاً يسرا هانم نورتي المكان يا ست البنات.

اتجـه نحوهـا وصافحهـا وقبَّـل يدهـا وسـط دهشـة يـسرا التـي لم تجـرب تقبيـل يدهـا مـن قبـل ، حتـى أحمـد برغـم حبـه لهـا وإغراقهـا بالقُبَـل إلا أنـه لم يتطـرق يومـاً إلى تقبيـل يدهـا وقـد يكـون السـبب في ذلـك هـو اعتـزازه الشـديد بشـخصيته واعتبـاره أن مجـرد تقبيـل يـد زوجتـه هـو انتقـاص مـن رجولتـه أو لأنـه لم يعتَـد عـلى مثـل هـذا النـوع مـن التقبيـل .

- ميرسي جداً ياحازم c›est tres jante

كانـت يـسرا بجانـب أنهـا امـراة جميلـة كانـت رقيقـة وتظهـر رقتهـا بوضـوح في نطقهـا للفرنسـية بطلاقـة ورقـة متناهيـة ، يُطلـق عـلى اللغـة الفرنسـية «لغـة الشـفايف» لـذا برعـت يـسرا في تعلمهـا والتعامـل بهـا مـع مـن حولهـا وخاصـةً الرجـال بإتعبارهـا اللغـة الأنسـب للمـرأة ولأنهـا تريـد اسـتخدام شـفاهها اسـتخداماً آخـر غـير الُقبـلات التـي حرمـت منهـا منـذ ثـلاث سـنوات .!

- المعاملة ال Jante ماتليقش غير بالهوانم

- شكلك زي صورك على الفيس بوك مفيش اختلاف كبير

- بس إنتي أحلى بكتير من الصور

أخجلتها مغازلته الواضحة والتي يحاول إخفاءها وراء مسمى المجاملة والمعاملة اللطيفة ، استطرد ..

- اتفضلي استريحي

جلست يسرا على المقعد قبالة مكتب حازم تتلفت على الحوائط المعلق عليها بعض من صور زبائنه .

- والله أنا مش مصدق إنك قدامي

- إيه ؟ مكونتش متوقع اني هاجي ؟

- في الحقيقة لأ ، ماكنتش متوقع انك هاتستجيبي لدعوتي بالسرعة دي

- بصراحة أنا معرفش إيه اللي خلاني ألبي دعوتك وآجي النهاردة رغم اننا لسة يادوب اتعرفنا علي بعض امبارح بس انما يمكن عشان كنت محتاجة اوي للدعوة دي .

- ده من حسن حظي، تشربي إيه؟

- لأ ميرسي، أنا لسة شاربة قهوتي قبل مااخرج من البيت

- لأ ما ينفعش ماتشربيش حاجة ، القعدة هنا بالمشاريب

ضحكت لدعابته الظريفة وردت ..

- خلاص يبقى أشرب أي حاجة ، عندك إيه؟

- بصّي انا بعمل قهوة فرنسية مافيش حد في مصر بيعمل زيها، قهوتك إيه؟

- مظبوط

أشعل السبرتاية الموضوعة بجوار المكتب ووضع عليها كنكة القهوة وصنع لها فنجاناً من القهوة أنعشت رائحتها الشهية أنفاس يسرا العاشقة للقهوة ، ارتشفت منها رشفة بتذوق ..

- امم، لذيذة فعلاً ، شكلي هاجي أشرب قهوتي عندك كل يوم

- ياسلام ده الاستوديو وصاحب الاستوديو وقهوة صاحب الاستوديو

تحت أمرك

ابتسمت ابتسامة أشبه بالضحك :

- بس أنا مش فاكراك حتى بعد ماشفتك، كنت متخيلة اني لما هاشوفك هاعرفك لكن برضو مش قادرة أفتكرك ولا أفتكر إننا إتقابلنا في الجامعة زمان زي ما قولتلي .

- عندك حق ماتفتكرنيش ، أنا أصلي برضو شكلي اتغير عن زمان ، طوّلت شعري زي مانتي شايفة وعملت دقني دوجلز ، ده غير طبعاً فرق السن من دلوقتي عن أيام الجامعة

- بس الغريبة إنك انت لسة فاكرني

- انا عمري ما نسيتك يا يسرا

نظرت له فأدهشتها نظرة عينيه التي أعقبت جملته فأطرقت خجلاً ، فتدارك ..

- قصدي إني عمري ما بنسى أي حد قابلته في حياتي وخاصةً الناس المميزين

قال جملته الأخيرة وهي ترتشف آخر رشفة من فنجان قهوتها ..

- طيب مش يلّا عشان تصورني زي ما وعدتني

- طبعاً اتفضلي

أشار لها بالدخول إلى صالة التصوير ، سبقته وتبعها وهو يقول ..

- هاصورك شوية صور إنما إيه عمرك ما اتصورتي زيهم قبل كدة .

في غرفة التصوير وبعدما رأت يسرا الكاميرا مثبتة على حامل الكاميرا ورأت المظلتين الكبيرتين السوداوتين المطليتين من الداخل باللون الفضي العاكس لضوء فلاش الكاميرا كي يزيد من قوة الإضاءة على وجه الشخص الذي يقوم المصور بتصويره، تعرف يسرا كل هذه التفاصيل وتذكرها جيداً ، مررت يدها على الكاميرا وكأنها تلقي عليها التحية وتسألها هل تذكريني .! ثم اقتربت من المرآة الموجودة بركن

الغرفة والتي كانت تحمل أسفلها بعض الامشاط ومساحيق التجميل ، استحضرت في خيالها الأيام الخوالي في استوديو التصوير الخاص بعمها في أقصى الصعيد وكأنها أمام شريط نيجاتيف محبب لناظريها ولقلبها أيضاً .

- نيكون الكاميرا دي مش كدة؟

- ايه ده؟ انتي بتعرفي في أنواع الكاميرات؟

- طبعاً دانا مصوراتية قديمة، تحب أقولك باقي الأنواع التانية من الكاميرات؟ كانون ، وياشكا، وزينيت، شوفت بقى إن أنا بعرف في كل تفاصيل التصوير لأ وكمان بعرف أنواع الأفلام اللي كانت بتستخدم زمان في التصوير قبل اختراع كاميرات الديجيتال دي ، زي مثلاً فيلم فوجي، وكوداك ، ونيكون .

وقف مشدوهاً أمام خبرتها الهائلة في أدق تفاصيل التصوير .

- ما تستغربش ، أنا أصلي اشتغلت مع بابا زمان في استوديو التصوير بتاعه، هو مش بابا بالظبط هو عمي اللي ربّاني بعد موت بابا الله يرحمه وانا أتعودت اقوله بابا لأنه حنين جدا عليا وعمره ما حسّسني إنه عمي .

- الله يرحم باباكي ويخليلِك عمك ، انتي أبهرتيني النهاردة بصراحة ، أنا مكونتش أعرف إنك بتفهمي كدة في التصوير وإنك كمان كنتي بتصوري، احنا كدة طلعنا زُمُلْ بقى .

ضحك الأثنان ثم قالت يسرا:

- ها هاتصورني ازاي بقى ؟

- بالطريقة اللي انتي تحبيها ، أنا هاسيبك تختاري براحتك الشوت اللي تحبي تشوفي نفسك بيه .

أعجبتها فكرة أن يترك لها حرية اختيار الكادر أو اللقطة التي تريد

أن تـرى نفسـها عليهـا، فبـدأت باختيـار أوضـاع مختلفـة ، مـرة تقـوم بفـرد شـعرها، ومـرة آخـري ترفعـه، تظهـر دلعهـا وأنوثتهـا مـرة وترسـم عـلى وجههـا ملامـح الجديـة مـرة أخـرى ، تبتسـم مـرة وتمـط شـفتيها مـرة أخـرى واضعـة إحـدى يديهـا عـلى الأخـرى كـما كانـت تفعـل وهـي طفلـة صغـيرة تصطنـع الغضـب ومخاصمـة أمهـا إذا رفضـت لهـا طلـب ، كـما أنهـا بدلـت ثيابهـا بقطعتـي الملابـس اللتـان كانـت تصطحبهـما معهـا في حقيبتهـا ، واللتـان كانتـا عبـارة عـن بلوزتـين واحـدة باللـون الأخـضر الزاهـي، والأخـرى باللـون الزهـري المشـجر ليصنـع لهـا حـازم بـكل تلـك اللقطـات ألبومـاً يحـوي عـدداً لا بـأس بـه مـن الصـور .

أثنـاء جلسـة التصويـر تلـك تحدثـا معـاً بشـكل عابـر عـن حياتهـما الشـخصية عـرف منهـا أن زوجهـا هاجـر منـذ عامـين خـارج البـلاد وأنهـا تعيـش وحيـدة في شـقتها بالزمالـك ، وعرفـت هـي منـه أنـه لازال أعـزب لم يتـزوج بعـد وأنـه يعيـش بمفـرده في شـقته بالتجمـع الخامـس ، بعـد انتهـاء الجلسـة التـي كانـت ممتعـة لكليهـما شـكرته بحـرارة مودعـةً إيـاه عـلى أن تعـود في اليـوم التـالي لأخـذ الصـور منـه بعـد طبعهـا . وقبـل أن تغـادر سـألته في توجـس ..

- هـو مفيـش حـدّ بييجـي يتصـور عنـدك؟ أنـا ملاحظـة إن مفيـش ولا زبـون دخـل غـيري مـن سـاعة مانـا جيـت ؟!

- الاسـتوديو لسـة فاتـح جديـد مـن شـهور قليلـة ، فلسـة ماتعرفـش اوي انمـا طبعـا انـا ليـا زباينـي بـرة المحـل زي مـا قولتلـك إني بصـور أفـراح بـرة وباعمـل فوتوسيشـن للعرايـس وأعيـاد الميـلاد وكـدة . انمـا ده مـا يمنعـش ان الاسـتوديو لـه زبونـه حتـى لـو لسـة قليـل .

- بكرة ان شاء الله هاتبقى مش ملاحق علي الزباين

- إن شاء الله

خرجـت يـسرا مـن عنـده وهـي سـعيدة سـعادة لا تـدري سـببها كل

ماتدريه أنها أخيراً فعلت شيئاً مختلفاً غير انتظار اتصال أو رسالة على هاتفها من أحمد زوجها يخبرها أنه يفتقدها قائلاً لها بعض الكلمات المصبرة التي ملّت سماعها مثل معلش استحملي ، هانت خلاص ، كل ده عشان مستقبلنا ، هي لا تفكر في هذه الكلمات الآن، أصبح هناك أشياء أخرى جعلتها تنشغل عن التفكير في أحمد وهو الشيء ذاته الذي جعلها تخرج من وحدتها الموحشة التي كادت أن تقتلها الشغف.

ما أحلى الرجوعَ إليه

# 10

فزعت حنان حين فتحت باب شقتها وولجت إلى داخلها فوجدت مجدي جالساً على الأريكة بالصالة وعيناه معلقتان على الباب ..

- بسم الله الرحمن الرحيم ، مجدي ! إنت ايه اللي رجعك بدري ؟ مش عوايدك ترجع في الميعاد دة ؟

- ايه؟ ماكونتيش عايزاني آجي دلوقتي ولا ايه؟

- ايه اللي انت بتقوله دة؟ لأ طبعاً أنا مش قصدي كدة انا بس مستغربة

- بصي في ايدك كدة شوفي الساعة كام؟

تنظر حنان في ساعتها ثم تجيب ..

- الساعة 12

- مش غريبة انك تكوني برة البيت في الميعاد دة؟ انتي عادةً بتودي مهند الحضانة الساعة عشرة وبترجعي الساعة عشرة ونص، كنتي فين بقى الساعة ونص دول ؟!

ترتبك من سؤاله الذي يشي بشكه فيها ..

- قصدك ايه من السؤال ده ؟ هاكون فين يعني؟ عديت على ابويا قعدت معاه شوية فيها حاجة دي ؟

- لأ ما فيهاش حاجة بس اللي اعرفه انك بتروحي لابوكي كل خميس وجمعة، والنهاردة الاتنين يعني احنا في وسط الاسبوع !

- في ايه يامجدي؟ هو تحقيق؟

- ايه؟ مش من حقي اسأل مراتي كانت فين ؟

- مش بالطريقة دي ، دانت زي ماتكون بتستجوبني مش مجرد سؤال عادي

- ماهو لما الاقي أحوالك متغيرة لازم اسأل واحقق

- احوالي متغيرة ازاي يعني ؟ مش فاهمة

- يعنـي مثـلاً راجعـة مـن بـرة وانتـي عـلى سـنجة عـشرة وحاطـة ماكيـاج كامـل ، مـن امتـى وانتـي بتحطـي ماكيـاج ياحنـان انـا اعـرف انـك مـش بتحبـي المكيـاج وانتـي بسـم اللـه ماشـاء اللـه جمالـك طبيعـي ومـش محتاجـة زينـة اصـلاً

- وهـو حـرام ولا عيـب ، عـادي حبيـت اجـرب واحـط زي باقـي السـتات فيهـا ايـه دي كـمان ؟

- انا اللي باسألك ماترديش على سؤالي بسؤال

- جرالـك ايـه يامجـدي، انـت عمـرك ماكلمتنـي بالطريقـة دي ، كل دة عشـان خرجـت افـك عـن نفـسي شـوية بـدل الحبسـة الـلي انـا فيهـا طـول النهـار! مـش كفايـة انـت مـش بتخرجنـي ؟يعنـي لا بترحـم ولا بتسـيب رحمـة ربنـا تنـزل ؟!

ينهـض مجـدي منفعـلاً لكنـه قبـل أن يـرد عليهـا فاجـأه الألم في مقدمـة رأسـه فخذلتـه سـاقاه وهـوى عـلى الأريكـة قابضـاً بأصابـع يـده عـلى مقدمـة متأوهـا ..

- آه

تركض حنان نحوه فزعة محاولةً إسناده ..

- يالهوي ، مالك يامجدي ؟ مالك ياخويا فيك ايه ؟

- ناوليني كوباية مية وبرشامة للصداع لو سمحتي ياحنان

- حاضر ياخويا من عينيا

تتجـه مسرعـةً تجـاه المطبـخ تحـضر لـه كـوب مـاء وتخـرج مـن حقيبتهـا شريـط برشـام مسـكن لـلآلام وتناولـه إياهما متلهفـةً ..

- اتفضل ياحبيبي ألف سلامة عليك

يلقـي مجـدي البرشـامة في فمـه ويرتشـف رشـفتين مـن المـاء ثـم يناولهـا

الكوب ، فتضعه على المنضدة وتجس مقدمة رأسه

- ايه دة ؟ انت راسك دافية انت عيان ولا ايه ؟

- تعبان ودايخ والصداع هايفرتك دماغي عشان كدة رجعت بدري من الشغل استأذنت من المدير وجيت، ولغيت كمان الحصص في السنتر .

- سلامتك ياحبيبي، ماهو انت برضو مش راحم نفسك في الشغل ، ياحبيبي ان لبدنك عليك حق ، عموماً تعال اتسند عليا ادخلك اوضة النوم ريّح شوية على السرير على ما احضرلك لقمة كويسة ترم بيها عضمك .

يستند على كتفها وتلف هي يدها حول خصره حتى تدخله الغرفة تجلسه عل السرير وتخلع عنه نعليه، وتمدده على ظهره وتشد عليه الغطاء ..

- ساعة واحدة والأكل يكون جاهز

وبينما تهم بالخروج من الغرفة ناداها ..

- حنان

- نعم ياخويا

- حقك عليا ، انا اتعصبت عليكي بس غصب عني ، لما رجعت البيت ومالقتكيش اتخنقت مش متعود اني ارجع ومالقكيش ، البيت كان وحش اوي من غيرك ياحبيبتي

جلست حنان على طرف السرير وابتسمت ابتسامتها الرائقة وهي تربت على صدره ..

- ياخويا لو العيا هايخليك تقولي كلام حلو زي ده يبقى اعيا كل يوم بقى

- انا عارف اني مقصر في حقك بس غصب عني ياحبيبتي انتي عارفة ظروف شغلي والبيت وطلباته اللي مابتخلصش انا لو رقدت

يـوم ولّا جـرالي حاجـة يمكـن مـا تلاقـوش تاكلـوا انتـي ومهنـد

- بعـد الـشر عليـك ربنـا يخليـك لينـا ومايرقـدك أبـداً يـارب ، هاقـوم انـا اعملـك لقمـة بسرعة

- لأ مش عايز اكل ، خليكي جنبي انا محتاجلك قوي

ثم مد ذراعيه ليحتضنها فاحتضنته بدورها ..

- يااااه يامجدي ، تعرف بقالك قد ايه ماحضنتنيش الحضن ده؟!

- خـلاص ياحبيبتـي مـن هنـا ورايـح مـش هاحرمـك مـن حضنـي أبـداً ولا هاحـرم نفـسي مـن حضنـك، ده هـو المـكان الوحيـد الـلي برتـاح فيـه

ثـم نظـر في عينيهـا نظـرة شـوق لا يمكـن لامـراة مثـل حنـان تجاهلهـا ، قـترب أكـثر منهـا وقـرب وجههـا لوجهـه وطبـع قبلـة طويلـة عـلى شـفتيها، ثـم عـاد واحتضنهـا بقـوة

نـسى مجـدي تعبـه في حضـن زوجتـه ، وكأن حضنهـا هـو العـلاج الموصـوف لـه مـن قبـل الطبيـب للشـفاء مـن كل آلامـه، شـعر في اللحظـة أن درجـة حرارتـه المرتفعـة قـد انخفضـت وعـادت لمعدلهـا الطبيعـي لمجـرد أن دفـن رأسـه في صـدر «حنونتـه» مثلـما يحـب أن يلقبهـا وكأنـه لم يكـن مريضـاً منـذ لحظـات، وكأنـه طفـل يتحجـج بالمـرض كي يفـوز بتدليـل أمـه وتفـرط في تدليلـه ، كـم كانـت تشـتاق هـي أيضـاً لحضنـه ، للمسـاته ، لهمسـاته ، لأصابـع يـده وهـي تمـر بـكل منحنيـات جسـدها الـذي كاد أن ينـسى بصماتـه ، ذابـت فيـه كـما تـذوب قطـة البسـكويت في فنجـان الشـاي السـاخن ، انصهـرت فيـه كـما تنصهـر قطعـة الحديـد في لهيـب النـار المشـتعلة ، تركـت لـه نفسـها وكأنـه يلمسـها للمـرة الأولى في حياتهـما ، وكأن الخمـس سـنوات التـي مـرت عـلى زواجهـما كانـت حلـماً أو خيـالاً ، فبرغـم علاقتهـا بشريـف يبقـى مجـدي هـو حبهـا الأول بـل الأوحـد، حبهـا الحقيقـي ورجلهـا الشرعـي الـذي لا تشـعر في حضنـه بتأنيـب الضمـير أو بارتـكاب إثـم .

بـدا في ذلـك الوقـت كـما لـو أنهـا تكتشـفه مـن جديـد، بـل وتكتشـف نفسـها مـن جديـد ، تركـت نفسـها عاريـة أمامـه دون خجـل أو خـوف، كلـما مـرر أصابعـه عـلى جـزء مـن جسـدها تتفجـر ينابيـع أنوثتهـا الفائـرة الثائـرة بـين يديـه، اشـتاقت لأنوثتهـا معـه واشـتاق هـو لرجولتـه معهـا، نامـت بـين يديـه كعصفـور صغـير ضـل عـش أمـه ثـم عـاد بعـد أيـام مـن الضيـاع والتيـه والحرمـان .

طَرَقَ الحب بابي .. كيف أرده ؟!

# 11

في اليـوم التـالي فوجئـت يـسرا بطرقـات عـلى بـاب شـقتها في وقـت الظهـيرة، أرهفـت السـمع لتتأكـد مـن أن مـا سـمعته صحيـح؛ حـين تكـرر الطـرق فُزعـت وتسـاءلت .. مـا عسـاها تكـون تلـك الطرقـات؟ هـي لم تعتـاد زيـارة أحـد لهـا بالمنـزل، رفعـت صوتهـا مـن بعيـد فهـي لازالـت مسـتلقية عـلى سريرهـا ..

- مين؟

لم يأتها رد ، فنهضـت مـن عـلى سريرهـا وخرجـت مـن غرفتهـا ووقفـت بمنتصـف الصالـة وكـررت..

- مين بيخبط؟

لم يأتهـا رد أيضـاً ، فتوجهـت إلى بـاب الشـقة ونظـرت مـن العـين السـحرية واندهشـت لمـا رأت

- حازم؟ وده ايه اللي جابه هنا ؟ غريبة !

ارتدت روباً فوق ملابس نومها وفتحت الباب ..

- حازم؟!

- صبـاح الخـير يايـسرا، أنـا آسـف اني جيتلـك بيتـك ، انـا أصـلي لمـا لقيتـك ماجتيـش اسـتلمتي صـورك قلـت آجـي اجيبهوملـك بنفـسي .

- لأ أصـلي بصحـى متأخـر مـن النـوم ، وبعديـن كنـت ناويـة اعّـدي عليـك بالليـل في الاسـتوديو آخدهـم منـك، عـلى العمـوم انـا متشـكرة جـداً لتعبـك

كانـت تحدثـه وهـي مرتبكـة خشـية أن يـراه أحـد مـن الجـيران وهـو يتحـدث معهـا عـلى بـاب شـقتها، لـذا كانـت تريـد أن تنهـي حديثهـا معـه سريعـاً حتـى ينـصرف قبـل أن يـراه أحـد، ارتباكهـا وتوترهـا جعلاهـا لم تلمـح ذاك القفـص الحديـدي الصغـير الـذي يحملـه حـازم في يـده ، والـذي

رفعـه أمـام عينيهـا قائـلاً ..

- اتفضلي هدية عيد ميلادك كل سنة وانتي طيبة

- اللـه، ايـه القـط الجميـل دة ؟ انـت عرفـت ازاي اني باحـب القطـط؟ وكـمان عرفـت عيـد ميـلادي ازاي؟

- عرفـت عيـد ميـلادك ازاي دي سـهلة ، عرفتـه مـن الفيـس بـوك ، انمـا عرفـت انـك بتحبـي القطـط ازاي فـدة لأن طبيعـي إن إنسـانة رقيقـة زيـك أكيـد بتحـب القطـط والحيوانـات الأليفـة

- ميرسي ياحازم ، كلك ذوق بجد، عموماً وانت طيب وهدية مقبولة

مـدت يدهـا وتناولـت منـه قفـص القـط ، ثـم أخـرج حـازم مـن جيبـه مظروفـاً أبيـض قائـلاً ..

- دي صـورك ومعاهـا سي دي جمعتلـك عليـه كل الصـور الـلي صورتهالك وعملتلـك ليهـا مونتـاج بالأغـاني الـلي بتحبيهـا يـارب تعجبك.

تناولت منه المظروف شاكرة إياه ومعتذرة ..

- كـمان؟ دة كتـير عليـا واللـه بـس مكانـش في داعـي تتعـب نفسـك ، عمومـاً انـا متشـكرة جـداً بـس انـا أسـفة مـش قـادرة اقولـك اتفضـل عشـان زي مانـت عـارف انـا عايشـة لوحـدي و ...

- ماتشـغليش بالـك انـا اصـلاً كنـت مـاشي ، وانـا الـلي آسـف اني جيتلـك فجـأة ، بعـد إذنـك .

غـادر حـازم وشـعرت يـسرا أنهـا أحرجتـه بطريقتهـا الجافـة معـه في الوقـت الـذي يتعامـل هـو معهـا بلطـف شـديد ، ولكنهـا لا تملـك سـوى أن تعاملـه بتلـك المعاملـة، فكيـف تسـمح لنفسـها بدخـول رجـل غريـب إلى بيتهـا ، أغلقـت البـاب خلفـه وأخرجـت القـط مـن صندوقـه الحديـدي ، وأخـذت تداعبـه وتربـت عـلى ظهـره وتمـلس عـلي شـعره بيدهـا، كان قطـاً لطيفـاً يبـدو مـن صغـر حجمـه أن عمـره لا يتعـدى شـهرين فهـي خبـيرة في أعـمار القطـط لأنهـا اعتـادت أن تقـوم بتربيتهـم قبـل زواجهـا, وانتبهـت

في تلك اللحظة أنها لم تفكر في اقتناء قط يؤنس وحدتها بعد زواجها وتعجبت من ذلك ، كان لون القط مشمشياً فاتخذت يسرا من لونه اسماً دعته به «مشمش» حملته برفق وأطعمته وحممته وجففته بمنشفة ناعمة خصصتها من تلك اللحظة له ، ثم أدفئته في حضنها لينام على ذراعها كطفل جميل، مما جعلها تتعلق به وتحبه وكأنه وليدها الذي جاءها بعد طول انتظار ، بعد أن غط قطها اللطيف في النوم ، أحضرت جهاز اللاب توب وأدخلت فيه الاسطوانة التي أهداها حازم لها ، رق قلبها فور سماعها صوت كاظم الساهر ينبعث من داخل الاسطوانة وصورها تتراقص مع عذوبة صوته وألحانه وكلمات نزار قباني التي تعشقها : أنتِ امرأةً لا أحسبها بالسنين وبالأعوام، تركتُ في الصحراء قافلتي، أبحث في عينيكِ عن ذاتي. كانت تلك المقاطع من أغاني كاظم وأشعار نزار كفيلة بأن تذيب يسرا ذوباناً مع كل حرف وكل نغمة وكل إيماءة من إيماءاتها في الصور التي صحبت تلك الأغاني والتي من فرط سعادتها بها ظلت تعيد مشاهدتها مرات ومرات وكأنها لأول مرة ترى نفسها جميلة ، لكن قفز سؤال في مخيلتها ظل يلح عليها .. من أين عرف كل هذه التفاصيل عنها؟ حبها للقط وحبها لأشعار نزار ولصوت كاظم ، من أين عرف عيد ميلادها؟ من فيس بوك فعلاً كما أخبرها أم من مصدر آخر وماهو هذا المصدر إن وُجد؟! لكنها على أية حال طردت كل الهواجس والتساؤلات من مخيلتها حتى لا تفسد عليها نشوتها بكل ما يفعله معها حازم كي يسعدها، لكم كانت تفتقد إلى هذا الاهتمام وهذه السعادة .!

بعض البشر لا يشعرون بالنعم التي بين أيديهم إلا إذا زالت عنهم .!

# 12

طموح أحمد وذكاؤه ودأبه في العمل جعله يصل إلى مكانة رفيعة في عمله في وقت قصير ، هذه المكانة وهذا التميز جعله ينسى أن له زوجة في مصر تعيش وحيدة تنتظره أن ينفذ وعده لها بأن يعود، لكن سرقته عجلة الزمن، جذبته طلمبة البترول، وبريمة الحفر، دار مع تروسها التي لا ترحم، وكلما حاول التملص منها جذبته ودهسته بين فكيها المفترسين، تلك هي الغربة يشتهيها الناظر إليها من بعيد وحين يقترب منها تسحبه لداخلها، ومتى دخلها فرمته في مفرمتها التي لا ترحم ـ ويظل ينتقل من ترس إلى ترس ومن رافعة إلى رافعة حتى ينتهي به العمر وتطويه السنون ويكتشف أنه ظل وحيداً وبعيداً لسنوات فإما أن يعود لوطنه راقداً في نعشه، أو ميتاً على قيد الحياة بعد أن قد أكلت الغربة شبابه وصحته وأفقدته أهله وأصدقاءه .

أفاق أحمد من غيبوبة طموحه على طلب يسرا الطلاق، هاتفته ذات يوم وهي تملك كل مقومات الثبات الانفعالي وصوتها الواثق ونبرته الحادة تشي بأنها قد اتخذت قرارها النهائي ولا رجعة فيه .!

- بتقولي ايه؟ انتي اتجننتي؟ هوَّ ده اللي اتفقنا عليه ؟ انك تتحملي وتصبري زي مانا متحمّل وصابر لحد مانكون مستقبلنا ومستقبل عيالنا اللي هانجيبهم في المستقبل وبعدها هانكون مع بعض طول العمر !

- لا يابشمهندس احنا اتفاقنا كان تلات أربع شهور أو حتى سنة بالكتير مش سنتين وانا استحملت بما فيه الكفاية وخلاص تعبت ومعنديش استعداد استناك تاني اكتر من كدة .

- اهدي يا يسرا دي ساعة شيطان، استغفري ربنا واستهدي بالله ، خلاص هانت .

- خـلاص هانـت خـلاص هانـت ، مـن سـنتين وانـت بتقـول لي نفـس الجملـة ، عمومـاً مابقالـوش لزمـة الـكلام ده، دة قـراري النهـائي ومـش هارجـع فيـه .

- اهلـك عارفـين الـكلام ده؟ عمـك ومامتـك واخواتـك عارفـين انـك عايـزة تطلُّقي ؟

- أهلي مالهومش دعوة ، دي حياتي انا، وانا حرة في قراري

- يسرا ياحبيبتي انا بحبك، انا عارف انك تعبتي وانك .....

- ارجـوك ياحمـد مفيـش داعـي لأي كلام زيـادة لا هايقـدّم ولا هايأخّـر ، انـا هاسـتنى منـك ورقـة الطـلاق في اسرع وقـت ، وياريـت الطـلاق يحصـل بهـدوء مـن غـير شـوشرة عشـان مـا أضطـرّش الجـأ للمحاكـم والقـواضي .

قالـت جملتهـا الأخـيرة وانهـت المكالمـة دون انتظـار رد مـن احمـد وحتـى دون أن تقـول «سـلام»، لازال أحمـد ممسـكاً بسـماعة الهاتـف ، جعلتـه الصدمـة مشـوش التفكـير ، وضـع السـماعة أخـيراً وجلـس يفكـر في هـذه المكالمـة التـي كانـت بمثابـة ناقـوس الخطـر الـذي سـقط بعنـف عـلى رأسـه فأفاقتـه مـن غيبوبـة دامـت لعامـين ، تسـاءل ..

- تُـرى مـا الـذي جـرى ليـسرا؟ مـا دهاهـا؟ هـل أخطـأتُ حـين سـافرتُ وتركتهـا وحيـدة؟ ألم أسـافر مـن أجلهـا؟ مـن أجلنـا نحـن الاثنـين ومـن أجـل مسـتقبلنا سـوياً ؟! ولـكي أوفـر لهـا حيـاة كريمـة تسـتحقها؟ أعلـم أننـي تأخـرت عنهـا كثـيراً وأخلفـت وعـدي لهـا مِـراراً، ولكننـي فعلـت ذلـك لأجلهـا ، لا ياباشـمهندس لا تضحـك عـلى نفسـك ، انـت تركتهـا لتحقـق طموحـك الشـخصي ، تريـد أن تجمـع ثـروة متناسـياً أن لـك زوجـة لهـا عليـك واجبـات، تركتهـا وأطلـت غيابـك عنهـا وكأنـك تعاقبهـا كانـت سـبباً في أنـك لم تصبـح معيـداً بالجامعـة كـما كنـت تحلـم وتريـد، أفـق مـن غفلتـك، لم يكـن حبكـما هـو السـبب كـما تحـاول أن تقنـع نفسـك، كـن شـجاعاً ولـو لمـرة واحـدة واعـترف انـك أنـت المخطـيء، أخطـأتَ حـين

كنت تترك محاضراتك بالجامعة لتجلس معها في كافيتيريا الجامعة أو الخروج معها للتسكع في الشوارع بالرغم من نصائحها المتكررة لك بأن تلتفت إلى دروسك وبالالتزام بحضور محاضراتك حتى لا تكون هي السبب في ضياع حلمك وكأنها كانت تعلم أن تلك اللحظة ستأتي، سيأتي اليوم الذي تحملها هي فيه نتيجة تقصيرك، أحطأتَ أيضاً حين اتخذت قرار سفرك رغماً عنها وتركتها في القاهرة وحيدة، القاهرة تلك الهوة السحيقة التي تبتلع أعتى الرجال وأجلدهم فما بالك بامرأة وحيدة تفتقد إلى أقرب الناس إليها تفتقد زوجها، طموحك وغرورك صور لك أنها مجرد آلة كتلك الآلات الجافة التي تتعامل معها، كل ما تحتاجه منك هو المال والهدايا الباهظة التي ترسلها لها من وراء الجبال وحقول البترول وكأنك بذلك تسكت ضميرك الذي إذا ما حاول تنبيهك للخطأ الذي تفعله أرحته بتلك الأموال والهدايا ، نسيت أو تناسيت أنها امرأتك التي تحتاج إلى وجودك لا إلى أموالك، تحتاج إلى دفء حضنك لا إلى برودة هداياك .

ما بالك صعقت اليوم من طلبها للطلاق؟! طبعاً لأنك لم تكن تتوقعه، كنت دائم الثقة في بقائها مهما لاقت منك من إهمال وهجر وفراق ! من قال لك أن المراة تُمتلك؟ من أوهمك أن النساء مقتنيات؟ تضعها بين أشيائك الثمينة تغلق عليها خزينتك لتعود بعد سنوات الجفاء متوقعاً أن تجدها كما تركتها مملوئة بالحيوية واللمعان والجمال !

كفاك خداعاً لنفسك، كفاك إيهام ذاتك بأن ماتفعله تفعله لأجلها، كفاك إلقاء اللوم على غيرك في تقصيرك وفي إهمالك، قم اجمع ما تبقى من أشلاء الحب واحمله في حقائبك وعد من حيث جئت عساك تستطيع انقاذ ما يمكن انقاذه ، عدو ارتشف رحيق زوجتك قبل أن يرتشفه غيرك أوقبل أن يجف ولا يبقى لك حينها إلا الندم والحسرة .

قـم مـزق هـذا العقـد اللعـين الـذي يقيـدك مـن عنقـك ويقـودك إلى حيـث يريـد رب المـال والبـترول ، تذكـر القـول الشـهير مـاذا ينتفـع الإنسـان لـو ربـح العـالم كلـه وخـسر نفسـه ؟! قـم الآن وليـس غـداً أو بعـد غـد ، قـم ولا تعـد مـرة أخـرى إلى هـذه السـاقية التـي عصّبـت عينيـك كثـور يلـف حولهـا حاجبـة عنـك النـور الـذي حرمـت منـه طيلـة عامـين .

ليس كل ما يلمع ذهباً .!

# 13

اليـوم مبهـج والشـمس سـاطعة والعصافـير تغنـي، والكـون يعـزف أعـذب الألحـان احتفـاءً بعصفوريـن عاشـقين يحلقـان في سـعادة هنـا وهنـاك ، يتقافـزان مـن غصـن إلى غصـن عـلى شـجيرات العشـق المتناثـرة في كل أرجـاء الحديقـة ، تتراقـص مـن حولهـما الفراشـات بألوانهـا الخلابـة، وبـين الحـين والآخـر تقـف عـلى الأزهـار الحمـراء والبيضـاء والصفـراء تمتـص رحيقهـا وكأنهـا تضـع قبلـة عـلى شـفاه الزهـر المتفتـح ، وسـعف النخيـل يتعانـق والسـماء ترسـم قوسـها القزحـي عـلى وجهيهـما وكأنهـا تكللهـما بإكليـل الحـب الأبـدي .!

كان كل شيء حولهـما يشـدو ولم يكـن يدريـان بالتحديـد ، هـل يحتفـي العـالم بهـما أم أنهـما مـن فـرط سـعادتهما خيـل إليهـما أن الكـون كلـه صـار جميـلاً ؟! هكـذا هـو الحـب حـين يلمـس شـغاف قلوبنـا تصبـح قلوبنـا أكـثر رقـة بالدرجـة التـي معهـا نـرى أشـياء قـد لا يراهـا غيرنـا نحـن العاشـقون، ونشـعر بمشـاعر قـد لا يشـعر بهـا النـاس العاديـون أو الذيـن حرمـوا مـن نعمـة الحـب ولذتـه أو حتـى لم نشـعر بهـا أنفسـنا قبـل ان يمسـنا العشـق .

لم يصـدق مينـا أن مـاري قـد أصبحـت ملـكاً لـه، أو هكـذا تصـور لأنـه كلـما حـاول أن يعيـش هـذا الشـعور بالامتـلاك وتأخـذه غيبوبـة النشـوة حتـى يفيـق عـلى كلـمات مـاري الصاعقـة التـي كانـت تقذفهـا في وجهـه كالرصـاص .

- لسه يامينا، احنا يادوب مخطوبين ، ماتنساش

- ياحبيبتـي مـش نـاسي بـس انـا بحبـك يامرمـر، وماصدقـت اننـا بقينـا لبعـض حتـى لـو كانـت لسـه خطوبـه ده مايمنعـش اني نفـسي أدوق شـهد شـفايفك النونـو دي

وما يلبث أن يمرر أصابعه على شفتيها حتى تنتفض كالمدوغه ..

- مينا من فضلك، أنا مابحبش الحاجات دي ، اصبر لما نتجوز ابقى اعمل اللي انت عاوزه ، وبعدين خلي بالك الناس حوالينا

- طيب إيه رأيك نغير المكان؟ نروح مكان أهدا وأروق من كدة، أنا نفسي ابقى معاكي على راحتنا ياقلبي

- وهو في مكان أهدا ولا أروق من كدة؟ دي حتى الجنينة هادية والناس اللي فيها مش كتير

- لأ أنا قصدي نروح مكان نكون فيه أنا وانتي لوحدينا

- آه تقصد بيتنا يعني؟ عندك حق بيتنا أهدى من هنا ومش هايكون معانا غير ماما

- بيتكم ايه بس يامرمر؟! افهميني ياحبيبتي ، انا اقصد بيتنا احنا الاتنين ، بيت الزوجية بتاعنا أنا وانتي

- بيتنا احنا الاتنين؟ تقصد شقتك؟!

- ايوة ياقلبي شقتي ، ايه رأيك؟ مش بذمتك احسن؟

يتناول يدها في هدوء ويطبع قبلة رقيقة على ظهرها، تسحبها منه ماري فور سماعها كلمة «شقتي»

- إنت بتقول إيه يامينا؟ عايزني أروح معاك شقتك لوحدنا؟!

- اولاً مااسمهاش شقتك .. اسمها شقتنا، يعني بيتنا احنا الاتنين ، وبعدين ماهو انتي طبيعي هاتيجي الشقة عشان تشوفيها عشان تفرشيها على ذوقك وتختاري انتي بنفسك ديكوراتها ، مش برضو من حقك تفرشي شقتك على ذوقك ياعروستي الجميله .

مسح ببطن يده على شعرها محاولاً طمأنتها والتأثير عليها لتوافق على طلبه

- أيوة لما آجي أفرش الشقة ساعتها ماما هاتكون معايا .. مش نبقى أنا وانت لوحدينا

- يامرمر ياحبيبتي فكيها شويه انتي كأنك مش عايشة معانا على

الأرض ، كأنـك عايشـة لوحـدك في كوكـب تـاني ، هـو في بنـات دلوقتـي بتفكـر بطريقتـك دي! ولا انتـي لسـه صغـيره عشـان تحتاجـي ماما معـاكي تاخـدك مـن ايـدك وتـروح بيـكي أي مـكان

- مش مسألة صغيره ياحبيبي ، بس الأصول بتقول كده

- الله على كلمة حبيبي طالعة من بين شفايفك زي الشهد

يحاول أن يلمس شفتيها بأصابعه ، فتنتهره ..

- وبعدين يا مينا !

فيتطرد خوفاً من غضبها ..

- اوكي ياحبيبتـي ، بـس احنـا هانعمـل ايـه ضـد الأصـول؟ ثـم معنـى ردك ده إنـك مـش واثقـة فيـا

- لأ طبعـاً ، أكيـد انـا بثـق فيـك وإلا مكونتـش أتخطبتلـك أصـلاً ولا حتـى كنـت خرجـت معـاك لوحدنـا ، ولا انـت يعنـي عايـز تسـمعها منـي كل شـوية

- هي ايه دي ؟

تطرق رأسها في الأرض خجلاً ..

- اني .. اني بحبك وبثق فيك

- اللـه اللـه اللـه عليـكي يـاروح قلبـي لمـا بتبقـي رايقـة وتقوليـلي بحبـك وانتـي خجلانـة وزي القمـر كـدة، عايـزك بقـى تثبتيـلي حبـك دة وثقـك فيـا الـلي انتـي لسـة قايـلالي عليهـم ، وأنـا وحياتـك عمـري مـا هاعمـل حاجـة تزعلـك منـي ابـداً .

- وعد؟

- وعد

وضـع يـده عـلى صـدره كأنـه يتلـو قسـماً ويرجوهـا أن تصدقـه ، حتـى لانـت ملامـح مـاري ومـا كان أمامهـا بعـد إلحـاح مينـا إلا أن وافقـت عـلى طلبـه أخـيراً ..

- حـاضر يامينـا هـاروح معـاك شـقتك ، عشـان بـس أثبتلـك قـد إيـه أنـا بحبـك وبثـق فيـك ، بـس اوعـدني تـاني انـك تقعـد بأدبـك وماتحاولـش تعمـل حاجـة تضايقنـي وإلا .....

- من غير وإلا ، دانا اشيلك في عينا يانور عينيا

قالهـا مينـا وفي عينيـه لمعـة نشـوة سـعادة مـن حصـل عـلى أمنيـة طـال انتظارهـا .

فقالت له مهددةً في دعابة ..

- طيب يلا بينا قبل ما أرجع في كلامي وأغير رأيي .

***

عنـد بـاب شـقته تـرددت كثـيراً بالدرجـة التـي معهـا أطالـت الوقـوف عـلى عتبتـه ، فقـال لهـا مينـا مطمئنـاً ..

- اتفضلي ياحبيبتي، انتي لسة مش مطمنالي؟

- لا ابداً بس اصل ....

- اصل ايه بس تعالي ماتخافيش

سـحبها مـن يدهـا برفـق إلى داخـل الشـقة، دخلـت معـه وعينيهـا تسـبق قدميهـا تتفحـص المـكان بعنايـة ، كانـت شـقة مينـا منظمـة ومرتبـة بشـكل مريـح للعـين ، مـرت في بدايـة الشـقة ببهـو كبـير بمـرآة دون مقعـد عـلى يمـين الشـقة ، يتبعهـا ريسيبشـن كبـير ، ثـم صالـون مذهـب يبـدو عليـه الفخامـة والرقـي ، وهـو الـذي اسـتقرا فيـه مينـا ومـاري .

- الله يامينا ذوقك حلو اوي ، شقتك تجنن

- ولسـة ياحبيبتـي لمـا هاتفرشـيها انتـي عـلى ذوقـك هاتبقـى احـلى واشـيك مـن كـدة بكتـير ، اتفضـلي اسـتريحي وانـا ثـواني وهاجيلـك

- رايح فين؟

- هاعملنا حاجة نشربها، وراجعلك حالاً

قـال جملتـه الأخـيرة وهـو يقـوم بخلـع البليـزر المخمـلي كحـلي اللـون

ووضعه حول رأس المقعد المذهب وسار بقميصه الأبيض الحريري وبنطاله الجينز الكحلي في اتجاه المطبخ ، تذكرت ماري المرة الأولى التي رأته فيها بقميصه المقلم ذو الأكمام القصيرة وفتحه زري قميصه الأماميين وتذكرت كيف كان أنيقاً جذاباً، لكنه الآن أكثر أناقة وجاذبية عن تلك المرة، يعرف كيف ينتقي ملابسه بعناية مدروسة تظهر رشاقة قوامه وقوته البدنية في آن.

- بسرعة طيب يامينا عشان ماتأخرش على مامى وماتقلقش عليا

أتاها صوته من بعيد ..

- من عينيا ياحبيبتي ، هوا

جلست ماري تتلفت حولها مبهورة بأناقة المكان والذي لا يقل أناقة عن صاحبه ، لفت نظرها شيئاً ملقى على الأرض ، دققت النظر فيها من بعيد وجدتها البطاقة الشخصية لمينا ، تناولتها من على الأرض وقربتها إلى عينيها ، كادت تهم بمناداة مينا لتخبره أن بطاقته سقطت منه على الأرض، ولكن ما رأته في البطاقة شل حبالها الصوتية ، لم يكن في البطاقة التي عليها صورة مينا لم يكن فيها اسمه هو بل اسم شخص اخر ، كان الاسم بالبطاقة هو (حسام عبد الرحمن محمد السيد) ، جحظت عيناها من هول الصدمة ، ظلت تنظر للاسم أكثر من مرة في محاولة منها التأكد من أن ما رأته صحيحاً ، وتساءلت ..

- ازاي؟ يعني ايه؟ يعني مينا مش مينا؟ يادي المصيبة !

أفاقت من شرودها على صوته الذي أتاها من عمق المطبخ

- بيبسي ولا فانتا ياحبيبتي ؟

في حركة سريعة ألقت بالبطاقة على الأرض في مكانها وحاولت أن تخفي صدمتها مما اكتشفته للتو، في هذه الأثناء خرج مينا من المطبخ حاملاً صينية من الإستانلس عليها اثنتين من علب المياه الغازية الصغيرة (كانز) .

- عـمال اسـألك عايـزة تـشربي ايـه، ولمـا ماردتيـش جبتلـك فانتـا بقـى عـلى ذوقـي طالمـا انـك بتحبـي ذوقـي ، اتفضـلي

أمسـك زجاجـة الميـاه الغازيـة وقربهـا إليهـا ولكنهـا انتفضـت واقفـة دون أن تمـد يدهـا لتتنـاول الزجاجـة وكانـت سـاهمة ويبـدو عـلى ملامحهـا التغـير ..

- انا لازم امشي

- برضـو يامرمـر لسـة خايفـة منـي؟ ياحبيبتـي احنـا هانـشرب الحاجـة السـاقعة بسرعـة وهاوصلـك لحـد البيـت ماتقلقيـش

تحشرج صوتها قبل أن تنطق

- لأ معلش اصل ماما كلمتني حالاً وقالتلي انها تعبت فجأة ، سلام

ركضـت نحـو بـاب الشـقة وسـط اندهـاش مينـا ، فتحـت البـاب وخرجـت مسرعـة

- طيب استني أوصلك ، مرمر .. مرمر

لم تسـتجب لنـداءه وفي ثـوان معـدودة كانـت قـد وصلـت إلى بـاب العـمارة واسـتقلت سـيارة أجـرة حتـى بـاب بيتهـا .

# 14

تعلقت يسرا بحازم كما تعلقت بقطه «مشمش»، وتعددت اللقاءات والمهاتفات التليفونية والمحادثات الاليكترونية بينهما ، أدمنته، أصبح بالنسبة لها كالهواء الذي تتنفسه ، بات هو كل حياتها ، أول شيء تفعله كل ظهيرة عند استيقاظها هو مهاتفته إذا لم يسبق هو وهاتفها ليكون صوته هو أول صوت تسمعه في يومها، ونفس الشيء تفعله قبل نومها، ثم تأخذ قطه في حضنها وتنام .

مر على علاقتهما قرابة شهر شعرت خلال أيامه القليلة أن حياتها تلونت بألوان أكثر بهجة واشراقً ، عرفت للحياة ألواناً أخرى غير الأبيض والأسود ، ألواناً زاهية على عكس ألوان شرائطها من النيجاتيف ذات الألوان الباهتة والملامح المبهمة الغير واضحة ، تطورت علاقتها بحازم بالدرجة التي معها نسيت أنها امراة متزوجة ، تذهب معه للسينما ، أو للجلوس في الحدائق العامة الهادئة ، تتناول معه الغداء أو العشاء فى مكان شاعري رومانسي على موسيقى ناعمة، يتراقصان وجسداهما متلاصقان وأنفاسهما تتمازج وعيونهما تتحدث دون كلام وأيديهما تتشابك ليسري دفء كل منهما إلى الآخر و يعلن شوقه له دون البوح بذلك .

في يوم من الأيام ووسط كل تلك النشوة، اختفى حازم تماماً ، لم يعد يهاتفها مثلما اعتاد ولا حتى يرد على مهاتفاتها له ، حتى صفحته الشخصية على فيس بوك لم يعد يظهر عليها اطلاقاً أو على أي برنامج من برامج المحادثات الاليكترونية ، وكأن الأرض انشقت وابتلعته ، انزعجت يسرا من اختفائه المفاجئ ، وتساءلت .. ما عسى أن يكون سبب اختفائه ، وبعد طول تفكير وانتظار وترقب اتخذت قرارها وذهبت إليه في استوديو التصوير الخاص به، ولكنها فوجئت بغلقه،

حاولت مهاتفته للمرة المائة لكن النتيجة كالمرات السابقة، وجدت هاتفه مغلقاً ، بدون تردد ذهبت إليه في شقته ، ضغطت زر جرس الباب عدة مرات دون استجابة ، وحين قررت المغادرة في اللحظة الأخيرة فُتح الباب ، وجدته أمامها في حالة إعياء ، فُزعت من منظره ووجهه الذي بدا شاحباً وعينيه المفتوحة نصف فتحة وأنفه المصطبغ باللون الأحمر كل ذلك يشي بأنه مريض منذ عدة أيام ، كاد أن يسقط على الأرض لولا أنها تلقفته في حضنها ..

- حازم ! مالك ياحبيبي في ايه؟

ودون أن تنتظر إجابة منه أسندته على كتفها وسارت به حتى أوصلته إلى كنبة الأنتريه في الصالة ومددته عليها ، جست جبهته ووجنتيه فوجدتهما بحرارتهما الطبيعية، فطمأنها قائلاً..

- ما تقلقيش ياحبيبتي أنا كويس

- ما اقلقش ازاي بس ؟ دانت لونك مخطوف وباين عليك التعب

- ده دور برد عادي بس تقيل شوية، أنا متعود أخده كل سنة في نفس الميعاد ، هاياخد وقته ويروح ماتخافيش

- انت ماروحتش لدكتور؟

- هاروح لدكتور ازاي وأنا أصلاً مش قادر أقوم من على السرير؟!

- طيب قوم معايا هاودّيك للدكتور انا معايا عربيتي تحت العمارة

- لا لا مش مستاهلة دكاترة ، دول شوية برد وهايروحوا لحالهم، أنا جايب العلاج وباخده بانتظام وكلها يومين تلاتة وHخف ، انا متعود على كدة

- عشان كدة انت مش باين بقالك كام يوم وانا كنت هاموت من القلق عليك ، خوفت لا بعد الشر يكون جرالك حاجة

- يعني لو جرالي حاجة هاتزعلي عليا يايسرا؟

وضعت يدها على فمه لتسكته حتى لا يتفوه بمثل هذا الكلام

- بعد الشر عنك ياحبيبي ماتقولش كدة ، انت مش عارف انت بقيت إيه بالنسبة ليا

قبَّل يدها التي لازالت على فمه ..

- بقيت إيه بالنسبة لك ياعمري ؟

- بطل شقاوة بقى مش وقته

قالتها محاولةً الهرب من خجلها، ثم أردفت ..

- بس انت الحمدلله حرارتك طبيعية مفيش سخونة

- لا مانا لسة واخد دوا خافض للحرارة من شوية ويادوب بدأ مفعوله يشتغل

- طيب تحب اعملك حاجة دافية تشربها ؟

- مش عايز اتعبك معايا، كفاية مجّيك لحد هنا عشان تسألي عليا

.

- تعبني إيه بس ياحبيبي، انا هاقوم اعملك كوباية لمون دافي مع الشاي ، اللمون حلو جدا للبرد هايخليك تخف بسرعة وتقوم زي الحصان

تركته وتوجهت إلى المطبخ ، أدارت السخان الكهربائي (الكاتيل) وفي ثوان معدودة كانت قد وصلت درجة حرارة الماء للغليان كانت قد وضعت خلالها الشاي والسكر في الكوب وبينما تمد ذراعها لتمسك بالسخان سبقتها ذراع قوية لتمسك بيدها، بينما التفت الذراع الأخرى حول خصرها باستماتة ، انتفضت يسرا وشهقت في فزع ثم التفتت واستدارت لتفاجأ بحازم يحاول تقبيلها، وبدا بكامل صحته وعنفوانه على عكس ما بدا عليه منذ لحظات

- حازم ؟ ايه دة ؟ انت اتجننت ؟ ايه اللي بتعمله دة؟

- وحشتيني، وحشتيني اوي

- معقولة اللي انا شايفاه ده؟ يعني انت مش عيان ولا حاجة ،

والتمثيلية دي انت عملتها عشان اجيلك لحد هنا !

- غصب عني ياحبيبتي، غصب عني، لما لقيتك مصرة ماتقابلنيش في شقتي في الوقت اللي هاموت عليكي ونفسي المسك مالقتش قدامي غير الحيلة دي عشان أجيبك هنا ونبقى براحتنا

أبعدت يديه عنها وهي غاضبة ..

- كدة برضو ياحازم؟ معقولة انت تعمل كدة؟ تخدعني وتضحك عليا عشان أجيلك لحد عندك وتاخد حاجة مش من حقك

- يسرا أنا بحبك

- وانا كمان بحبك، بس مش عايزين ننسى نفسنا،أنا لسة على ذمة حمد، لما أتطلق منه ونتجوز ساعتها اكون ليك لوحدك ، إنما دلوقتي لأ ياحازم .

- وانا مش قادر أستنى لغاية ما تطلقي يايسرا ، مش قادر ، أنا بغلي من جوة زي المية اللي بتغلي في الكاتيل دي، ثم مين أكدلك ان احمد هايوافق يطلقك ؟

اقترب منها أكثر واحتضنها بقوة ثم أردف ..

- هوَّ في حد عاقل يبقى معاه القمر ده ويطلقه برضو ؟!

- حازم من فضلك

- من فضلك انتي يايسرا، نفسي ألمسك ولو مرة واحدة بس وانشاء الله اموت بعدها

رق قلبها لجملته الأخيرة ، وبشكل لا إرادي وجدت نفسها تقول له ..

- بعد الشر عنك ياحبيبي

- انتي قولتيلي من شوية انت مش عارف انت بالنسبة لي إيه ، أهو انا دلوقتي هاموت واعرف انا بالنسبة لك إيه ؟

قـرب شـفتيه مـن شـفتيها ويـداه تعانقانهـا بمزيـج رائـع مـن الحنـان والقــوة ، وبعــد أن كانــت تبــذل أقــصى جهدهــا في مقاومتــه ومقاومــة شـعورها الداخـلي المُلـح باحتياجهـا الأنثـوي لرجولتـه ، تركـت لـه نفسـها، واستســلمت لــه دون أدنى مقاومــة .

الحب وحده لا يكفي

# 15

مر يومان على ما اكتشفته ماري ، أن مينا ليس مينا ، وأن الشخص الذي أحبته وفتحت له قلبها نصاب انتحل شخصية أخرى كي يتقرب منها ويستغلها باسم الحب، اكتشفت كم كانت ساذجة حين صدقته، خدعتها أناقته ولباقته وكلامه المنمق وهيئته الساحرة، لم يخدعها هي فقط إنما خدع عائلتها ايضاً ؛ تلك العائلة التي وثقت به وخطبت له ابنتهم دون شك في أمره ودون محاولة السؤال عنه وعن أصله وفصله، خدع كاهن الكنيسة الذي عقد لهما قران الخطبة حين تأبط هو ذراعها ودخل معها إلى المذبح المقدس وتعهد أمام الله وأمام الكاهن وأمام الناس أن يراعي الله فيها ويصونها فما كان من الكاهن إلا أن بارك خطبتهما وتلى عليهما صلاة الخطبة المباركة .

خلال اليومين الماضيين حبست ماري نفسها في غرفتها دون طعام أو شراب لا تفعل شيئاً سوى التفكير في المصيبة التي حلت بها وبعائلتها، عندما لاحظت أمها تغيرها المفاجيء شعرت نحوها بالقلق وبدأت تسألها عن أسباب هذا التغير لكن ماري لم تجد الكلمات المناسبة لتخبر أمها بذالك الخبر الكارثي ففضلت الصمت والعزلة والبكاء ،وحين ذهبت السَكرة و أتت الفِكرة، أي بعدما مرت الصدمة واتضحت الرؤية أمامها وزال التشويش عن عقلها، بدأت في التفكير في كيفية الخروج من هذا المأزق بأقل الخسائر الممكنة ، حمدت الله أنها اكتشفت حقيقته قبل زواجها به ، لازالت الفرصة متاحة أمامها للانسحاب ، لكنها لاتريد الانسحاب بهذه البساطة .

فكرت في الانتقام منه لتثأر لقلبها الذي ذبحه بسكين غير مسنون ، هاتفته وطلبت منه زيارته في شقته، تعجب مينا من طلبها الغريب ، وتساءل في نفسه.. ماذا جرى بالدنيا؟ هي من تطلب زيارته في بيته

وهـو الـذي كان يرجوهـا بالموافقـة عـلى الذهـاب معـه ؟! لكنـه رحـب بهـا بالطبـع محـاولاً إخفـاء دهشـته.

***

اسـتقلت سـيارة أجـرة وذهبـت إليـه ، فتـح لهـا بكامـل أناقتـه المعهودة وابتسـامته السـاحرة وعلامـات الدهشـة التـي اسـتطاع أن يخفيهـا في صوتـه هـا هـي ترتسـم عـلى وجهـه ..

- طبعاً انت مستغرب إني جايالك بنفسي لحد بيتك

- لا ازاي ياحبيبتـي ماتقوليـش كـدة، دة بيتـك، وانتـي عارفـة إن حاجـة زي دي تفرحنـي لإني بحـس إنـك واثقـة فيـا بجـد مـش مجـرد كلام .

- آه فعلا، أنا واثقة فيك بجد، وانت تستحق الثقة دي ياحبيبي

- بـس انتـي كنتـي مختفيـة فـين بقالـك يومـين، كلمتـك كتـير عـلى الموبايـل عشـان أتطمـن عليـكي وعـلى ماما لانـك قولتيـلي انهـا تعبـت فجـأة بـس كل مـا اتصـل بيـكي يـا إمـا ماترديـش يـا إمـا موبايلـك مقفـول ، روحتلـك البيـت خبطـت محـدش رد ، روحتلـك السـنتر قالـولي إنـك مـش بتروحـي الشـغل

- آه فعـلا انـا بقـالي يومـين مابروحـش الشـغل اصـلي كنـت تعبانـة شـوية إنمـا مامـا بقـت كويسـة نشـكر ربنـا

- تعبانة ؟ عندك إيه ياحبيبتي سلامتك، تحبي أوديكي للدكتور؟

- لا مفيـش داعـي انـا بقيـت كويسـة الحمدللـه ، ايـه مـش هاتجيبلنـا حاجـة نشربهـا ولا ايـه؟

- آه، آه طبعـاً، هاقـوم حـالاً اجيـب عصـير فريـش ولّا تحبـي تـشربي حاجـة سـاقعة ؟

- أي حاجـة عـلى ذوقـك ياحبيبـي، إنـت عـارف أنـا بثـق في ذوقـك قـد إيـه

- من عينيا ياروح قلبي ، ثواني مش هاتأخر عليكي

- براحتك

قام مينا أو حسام متجهاً إلى المطبخ، حين تأكدت ماري أنه دخل المطبخ فتحت حقيبتها وأخرجت منها كيساً به مجموعة من قوالب عجين الصلصال ، وتناولت سلسلة المفاتيح المعلقة في التابلوه المخصص لتعليق المفاتيح وطبعت كل المفاتيح المعلقة بالسلسلة ، كانت أربعة أو خمسة مفاتيح، لم تركز وقتها في عددهم، كل ما كان يشغلها في تلك اللحظة هو إنهاء مهمتها بسرعة قبل عودة مينا ، في أقل من دقيقتين كانت قد طبعت كل المفاتيح ثم أعادتها إلى مكانها وعادت هي إلى جلستها السابقة ودست كيس قوالب عجين الصلصال في حقيبتها .

خرج مينا من المطبخ حاملاً صينية عليها كوبان من العصير ..

- اتفضلي ياحبيبتي عصير فريش لسة عاملهولك حالاً بألف هنا وشفا

ناولها مينا العصير ، قرّبت العصير من شفتيها ولكنها لم ترتشف منه ولا رشفة ، فكرت أنه من الممكن أن يكون قد وضع لها مخدراً في العصير ، لم تعد تثق فيه.

- ايه ده؟ انت عامل عصير جوافة ؟

- أيوة طعمه جميل اشربيه هايعجبك اوي

- لأ أصل أنا مابحبش عصير الجوافة

قالتها وهي تعيد الكوب إلى الصينية

- ولا يهمك ياحبيبتي اعملك عصيرغيره، تحبي تشربي عصير مانجة ولا تفاح ؟

- لا بقى خلاص ماتتعبش نفسك مفيش وقت مش عايزة أتأخر على الشغل كفاية بقالي يومين مابروحش

علّقت حقيبتها على كتفها ونهضت من على الاريكة متجهةً إلى باب الشقة

- طيب استني أنزل معاكي أوصلك
- لا خليك انا أصلا معايا التاكسي واقف تحت
- تاكسي؟! طب وليه ياحبيبتي مانا كنت هاوصلك بعربيتي
- معلش مش عايزة أتعبك .. يلا سلام

لاحظ مينا أن تصرفات ماري كلها غريبة في هذا اليوم، حتى طريقة كلامها معه، ونظراتها له، ومجيئُها وانصرافها بهذا الشكل السريع والمريب جعله حائراً ، خانه ذكاؤه، منعه غروره من مجرد التفكير في أن ذكائه لم يكن كافياً لاستكمال خطته ، لم يشك في لحظة أنها اكتشفت أمره وأنها تدبر له خطة مضادة تنتقم بها منه .

وعلى غير ما أخبرته به بأنها ذاهبة للعمل، عادت لبيتها بعد أن هاتفت المركز الرياضي الذي تعمل فيه معتذرة عن اليومين السابقين اللذين تغيبت فيهما عن العمل طالبةً السماح لها بأخذ إجازة حتى باقي الأسبوع متذرعةً في ذلك بالإجهاد والإرهاق ، وقبل وصولها للبيت مرت على محل استخراج نسخ المفاتيح واستخرجت أربع نسخ لأربعة مفاتيح والتي قامت بطبعها على قوالب الصلصال .

في اليوم التالي هاتفت مينا وبشكل غير مباشر علمت منه موعد خروجه من المنزل وموعد عودته، كانت حريصة أشد الحرص أن تحدثه بشكل طبيعي وغير لافت للانتباه حتى لا يشعر أنها تستجوبه أو أنها تريد معرفة شيء بعينه.

ذهبت إلى شقته بعد أن تأكدت أنه خرج منها ، جربت المفاتيح الاربع حتى فتح أحدهم باب الشقة، دخلت تبحث فيها عن شيء يمكن أن يضيف لها معلومة جديدة غير اسمه يمكن أن تستخدمها ضده انتقاماً منه أو كسلاح تدافع به عن نفسها في حالة محاولته أذيتها .

أول شيء فكرت فيه هو مكتبته التي في الصالة الأخرى من الشقة ،

قامت بفتح كل أدراجها والتفتيش فيها لكنها لم تعثر علي شيء يفيدها حيث كانت تلك المكتبة هي مكتبة التليفزيون التي تحتوي على شاشة عرض متوسطة الحجم في منتصف المكتبة والتي تحيطها بعض التحف والتماثيل والاكسسوارات ، أعادت كل شئ إلى مكانه ثم دخلت غرفة نومه ، ألقت نظرة سريعة بداخلها ثم اتجهت نحو دولاب الملابس ، فتحته ، فكانت ملابسه معلقة على شماعة الملابس في منتصف الخزانة ،أما في جانبيه كانت تتراص ملابسه الداخلية والمناشف وملاءات السرير ، تركت الدولاب واتجهت ناحية التسريحة فتحت أدراجها فلم تجد فيها سوى بعض ساعات اليد وبعض زجاجات العطر الرجالي وأمشاط الشعر وكريمات الشعر والبشرة، أغلقت التسريحة ووقفت تجول بناظريها في أرجاء الغرفة زافرةً زفرة المهزوم الذي فشل في إيجاد ما يبحث عنه ، وضعت يدها على جبهتها وفكرت قليلاً ثم بحركة لا ارادية اتجهت ناحية دولاب الملابس مرة أخرى، فتحت الدرفة التي في المنتصف وأزاحت الملابس المعلقة على الشماعة قليلاً ناحية الشمال لتكتشف وجود جزينة معدنية صغيرة الحجم ، في تلك اللحظة عاد إليها الامل مرة اخري وشعرت أنها على وشك الوصول لما تبحث عنه ، أدخلت أصغر المفاتيح والذي توقعت أنه هو مفتاح الخزينة، أدارت المفتاح فاستدار بسهولة ومع ذلك لم تفتح الخزينة ، نظرت بدقة لتكتشف أن للخزينة كلمة سر يجب إدخالها كي تفتح ، وقفت تفكر في حيرة .. ما عساها يا ترى كلمة السر تلك ؟ جربت أرقاماً عشوائية متتالية مثل 12345 وبالعكس ولكن الخزينة لم تفتح ، جربت رقماً آخر وهو تاريخ ميلاده 17878 لم تفتح الخزينة أيضاً ، ثم تاريخ ميلادها، ثم كتبت يوم خطبتهما لكن اي من تلك الأرقام لم يكن صحيحاً ، وبينما تهم لإغلاق الدولاب واستسلامها لمعت فجأة فكرة في عقلها ، تذكرت أنها لمحت بعض من أرقام رقمه القومي على بطاقته

التـي وجدتهـا ملقـاة عـلى الارض منـذ ثلاثـة أيـام، أغلقـت عينيهـا وكأن أحـداً يمليهـا الأرقـام كتبـت مـن اليسـار إلى اليمـين 401095 ، لم تصـدق عينيهـا حـين أدارت مفتـاح الخزينـة وقـد فتحـت هـذه المـرة .

وقفـت مشـدوهة أمـام الخزينـة المفتوحـة وكأنهـا أمـام كنـز خفـي ، وجـدت مظروفـاً أصفـر كبـير الحجـم وبعضاً مـن رزم النقـود ، تركـت النقود وأخـذت المظـروف وفتحتـه ، وجـدت فيـه مجموعـة مـن الاسـطوانات التـي تسـتخدم في تخزيـن المعلومـات مـن عـلى أجهـزة الكمبيوتـر، كل اسـطوانة موضوعـة في جوربهـا ومكتـوب عـلى كل جـورب اسـم امـرأة وتاريـخ ورقـم هاتـف ، فتحـت مظروفـاً آخـر صغـيراً كان بداخـل المظـروف الكبـير مـع الاسـطوانات ، صعقـت مـن المفاجـاة حيـث وجـدت مجموعـة مـن بطاقـات الرقـم القومـي كلهـا عليهـا صـورة مينـا ولكـن بأسـماء مختلفـة ، تناولـت المجموعـة كلهـا بمظروفهـا وأخـذت معهـم بعـض الأوراق التـي كانـت موضوعـة في مظـروف آخـر بمفردهـا بعيـداً عـن المظـروف الأصفـر الكبـير، أخذتهـا دون أن تنظـر في محتواهـا، ودسـت جميـع الأوراق والاسـطوانات في حقيبتهـا ، وخرجـت مسرعـةً مـن الشـقة بعدمـا سـوت كل شيء وأعـادت باقـي الأشـياء إلى أماكنهـا .

أنت بلا عُذر أيها الإنسان

# 16

تبدلت حنان بين ليلة وضحاها، الليلة الاخيرة التي قضتها في حضن زوجها جعلتها تشعر بالندم على خيانته ، وبالرغم من أن علاقتها بالرجل الآخر لم تدم إلا بضعة أشهر قليلة إلا انها قد استفاقت من غيبوبتها وقد اتخذت قراراً حاسماً ونهائياً ، قررت أن تنهي تلك العلاقة الآثمة، وأن تعطي كل حبها لزوجها وطفلها واللذان شعرت مؤخراً بأنهما الأحق بحبها ورعايتها واهتمامها .

لم تكن حنان برغم دلالها واحتياجها الدائم للحب، لم تكن زوجة خائنة، ولكن أحياناً ما تضعنا الظروف في مواقف لم نكن نتخيل أن نوضع فيها، نرتكب خلالها أخطاءً لم يكن يخطر ببالنا يوماً أن نرتكبها ، لذا أول ما أتيحت لها الفرصة للرجوع عن ذلك الطريق الذي سارت فيه لأيام كانت خلالها ضعيفة مسلوبة الإرادة وكأنها مساقة بقوة خفية ، قوة رغبتها في أن تثبت لنفسها أنها أنثى مرغوبة وأنها شيء مهم في حياة الرجال، ومن المفارقات العجيبة أن يضع القدر في ذاك الوقت تحديد في طريقها رجلاً جعلها تشعر بأنها سيدة قلبه بل وسيدة كل نساء الأرض .

ذهبت إلى شريف في شقته مكان لقائاتهما بعد انقطاع دام لعدة أيام كانت تؤنب نفسها فيها لم تقاوم خلالها وخذ ضميرها الذي بات يحثها بشكل لا ينقطع على النهوض من بركة الوحل التي ألقت بنفسها فيها وأن تنفض ثيابها وتنظفها من الطين العالق بها ، حاثاً إياها على الاغتسال من ذنوبها .

ذهبت إليه هذه المرة دون تبرج مرتدية أبسط أنواع الملابس على عكس كل اللقاءات الماضية التي كانت تتعمد فيها ارتداء ملابس مثيرة تظهر فتنتها وتحرص على وضع كثير من مساحيق التجميل على

وجهها وتغنجها الزائد مع شريف لتزيد إثارته وفتنته بها .

اندهش شريف لرؤيتها على تلك الحال ، وزاد تعجبه من ملامحها الجادة ولهجتها الحادة ..

- شريف إحنا لازم نسيب بعض

- بتقولي ايه؟ انتي بقالك مدة مابتجيش ومابتردیش على موبايلك وكمان بعد كل الغياب ده جاية تقوليلي نسيب بعض ؟!

- ايوة ياشريف ده قرار نهائي ومش هارجع فيه

- يعني ايه قرار نهائي ومش هاترجعي فيه؟ هو قرارك لوحدك ياهانم؟ ثم إيه اللي حصل خلاكي تاخدي قرار غريب زي ده فجأة كدة؟!

- اللي حصل إني فُقت، حسيت بالندم من علاقتنا، ضميري بيأنبني

- فجأة كدة؟

- مش فجأة ولا حاجة، انا طول الفترة اللي عدت وانا بفكر في القرار ده ، مجدي جوزي مايستاهلش مني كدة ، ده غير إنه اتغير وبقى بيهتم بيا أكتر من الاول ، يبقى ماليش حجة ولا عذر إني أعرف راجل غيره

- آه يعني آنا الاستبن بتاع سي مجدي بتاعك، لما يهملك ومایاخدش باله منك تيجيني وتترمي في حضني ولما يرجع يهتم بيكي وياخد باله منك ترجعيله وترميني أنا، مش كدة؟

- أرجوك ياشريف ما تصعّبهاش عليا وعلى نفسك، العلاقة اللي بيني وبينك كانت غلط من الأول ، يمكن ضعفت في وقت من الأوقات ، وكنت محتاجة لإيد تطبطب عليا وحد يسمعني ويفهمني وما انكرش اني لقيت كل ده معاك، لكن لحد إمتى ؟ لحد امتى هانفضل نغضب ربنا مننا ؟

- وهو انك تسيبيني وانتي عارفة إني بحبك وما اقدرش أعيش من

غـيرك ده يـرضي ربنـا ؟

- بكـرة تنسـاني وتحـب واحـدة غـيري وتكـون مناسـبة ليـك أكـتر منـي ، عـلى الأقـل تقـدر تتجوزهـا وتعيـش معاهـا في الحـلال .

- بالسـهولة دي؟ انتـي متخيلـة ان مشـاعرنا دي ماشـية بزرايـر نـدوس عليهـا نحـب وقـت ماحنـا عايزيـن ونـدوس عليهـا تـاني فنبطـل نحـب برضو وقـت ماحنـا عايزيـن؟! انتـي ماحبتنيـش ياحنـان ، انـا كنـت بالنسـبة لـك مجـرد تعويـض عـن حرمـان معـين مـش أكـتر مـن كـدة .

- أنـا ماخدعتكـش ياشريـف ولا ضحكـت عليـك، أنـا مـن ألاول صارحتـك وقولتلـك اني بحـب جـوزي برغـم علاقتـي بيك

- وانـا؟ وانـا ياحنـان؟ مافكرتيـش فيـا؟ للدرجـادي انتـي أنانيـة ومابتفكريـش غـير في نفسـك ؟

- لـو سـمحت ياشريـف مالـوش لزمـة الـكلام ده، سـيبني أرجـع لجـوزي وابنـي وحيـاتي، ومـن فضلـك مـن اللحظـة دي ماتحاولـش تكلمنـي أو تطلـب تقابلنـي، لأن زي ماقولتلـك ده قـرار مـش هارجـع فيـه

- لا ياهانم مش هاسيبك تخرجي، دخول الحمام مش زي خروجه

- يعني إيه؟ هاتمنعني من الخروج بالعافية؟!

- لـو حتمـت هاعمـل كـدة فعـلاً، انـا مـش لعبـة في ايديـكي تعرفينـي وقـت ماتحبـي وترمينـي وقـت ماتزهقـي منـي ، انتـي بتاعتـي انـا وبـس ومـش هاسـيبك تروحـي منـي .

أمسـك ذراعيهـا بقـوة واقـترب منهـا يريـد تقبيلهـا واحتضانهـا فـما كان مـن حنـان إلا أن دفعتـه فسـقط عـلى الأريكـة، فسـحبت حقيبتهـا بسرعـة وركضـت نحـو البـاب ، وخرجـت مـن شـقته وأغلقـت البـاب خلفهـا تاركـةً شريـف يملـؤه الغيـظ ، لا يصـدق مـا حـدث ولا يـدري مـاذا يفعـل .

نصاب بشهادة معتمدة .!

# 17

دخلت ماري غرفتها وأغلقت الباب خلفها، خلعت حذاءها وملابسها وارتدت ملابس البيت ، تناولت حقيبتها وأخرجت المظروف الأصفر الورقي، وقبل أن تفتحه طرقت أمها الباب ثم دخلت دون ان تأذن لها ماري بالدخول ...

- ايه يامرمر ياحبيبتي ؟ رجعتي بدري من شغلك ليه؟

- أنا ماروحتش الشغل أصلاً يا مامي أنا كنت في مشوار ورجعت

- مشوار؟ مشوار إيه؟ وإيه الظرف اللي في ايدك دي؟

- معلش يامامي مش هاقدر أحكيلك حاجة دلوقتي، هاحكيلك كل حاجة في وقتها

- يابنتي في إيه بس مالك ؟ احوالك مش عاجباني خالص اليومين دول، مش بتروحي شغلك ودايماً قافلة عليكي اوضتك ولا بتاكلي ولا بتشربي لحد ما عينيكي مقفت ووشك بقى أصفر زي اللمونة .

- فترة وهاتعدي يامامي ماتقلقيش عليا وصدقيني انا كويسة مفيش حاجة

- طيب وخطيبك؟

- خطيبي؟ ماله؟

- مش بييجي ليه؟ انتوا زعلانين من بعض؟

- لا ابداً، بس زي ماقولتلك عشان انا مشغولة الأيام دي مش أكتر

- ولو اني قلبي بيقولي غير كدة بس عموماً انا مش هاضغط عليكي عشان تحكيلي ، انا هاسيبك على راحتك وعارفة انك عاقلة وبتعرفي تتصرفي صح في الوقت المناسب .

قالت أمها جملتها الأخيرة وغادرت الغرفة وأغلقت الباب خلفها، شعرت بقلب الأم أن ثمة خطبٌ ما بدل حال ابنتها .

بعدما تأكدت ماري من خروج أمها قامت بفض المظروف الأصفر وأفرغت محتوياته على السرير ، أمسكت مظروف الاسطوانات وكان عددها خمس، مكتوب على كل اسطوانة اسم سيدة ، قرأتهم اسماً اسماً .. حنان عبد التواب السيد، يسرا عاطف عبدالحميد، سارة محمود مصطفى، شهيرة أحمد عبد الجواد، ماري إسحاق يعقوب ، لفت انتباهها الاسم الاخير ؛ انه اسمها ، فكرت ..

- ياترى ايه السيديهات دي؟ وليه اسمي مكتوب على واحدة منهم؟! عموماً أكيد هاعرف لما افتح السيديهات واتفرج عليهم بس الأول اشوف إيه الورق ده

نحت الاسطوانات جانباً وأمسكت بالمظروف الآخر ، فتحته وأخرجت منه مجموعة من البطاقات الشخصية كلها لشخص واحد مع اختلاف الأسماء ، بدأت قراءتهم بصوت عالٍ وببطء وكأنها تتأمل تلك الأسماء ، مينا عادل عبدالمسيح ، أحمد سعيد المصري، صلاح عامر عبيد، حازم عبدالعليم المهدي، شريف ناصر البنا، تملكتها الدهشة وهي تعيد قراءة الأسماء مرة أخرى ثم أردفت ..

- ده غير البطاقة اللي باسم حسام عبدالرحمن محمد السيد ، ياترى هو مين في دول؟! ده شكله محترف تزوير أوراق رسمية ، البطايق كلها تبان إنها سليمة ، محدش يقدر يفرقها عن البطاقات السليمة ولا ممكن يشك إنها مزيفة ، يابن الذينا شكلك كدة مزور ونصاب خطير.

تركت البطاقات وأمسكت المظروف الثالث والأخير ، وأفرغت محتوياته، كانت كلها عبارة عن أوراق رسمية عليها أختام وامضاءات ، قلبت فيها من الأمام إلى الخلف ، فوجدت من بينها شهادة ميلاد ورقية قديمة ، قرأت البيانات المدونة بها والمكتوب فيها اسم الطفل: حسام عبدالرحمن محمد السيد،اسم الأب: عبدالرحمن محمد السيد عبدالرحمن، اسم الأم: نجاح عارف عبد الباري حسن، لفت انتباهها

اسم الأم ، خيل لها أنها سمعت بهذا الاسم من قبل ، نظرت في الفراغ تفكر وتتساءل .. أين يمكن أن تكون قد سمعت بهذا الاسم؟! وظلت تردد الاسم لمرات ، ثم صاحت فجأة ..

- معقول؟! معقول تكون هيَّ ؟ نجاح عبدالباري عضو مجلس الشعب اللي حكايتها قلبت الدنيا من سنتين تلاتة !

أخرجت هاتفها المحمول من حقيبتها وكتبت في محرك البحث اسم نجاح عبدالباري ظهرت لها نتائج البحث لتؤكد لها صدق حدسها، إنها بالفعل عضو مجلس الشعب السابقة والتي رُفعت عنها الحصانة منذ عامين لاتهامها بارتكاب فعل فاضح في حرم البرلمان مع عضو برلماني آخر و تم فصلهما من عضوية البرلمان ورفع الحصانة عنهما والتحقيق معهما .

- كمان أمك طلعت ست شمال ؟! ما شاء الله دانا وقعت في عيلة زي الفل .!

تركت هاتفها وقلبت في باقي الأوراق ، لفت انتباهها ورقة تبدو من هيئتها أنها شهادة رسمية ، قرأت محتواها لتصاب بصاعقة ، عنوان الشهادة .. مستشفى العباسية للامراض العقلية ، وفي متن الشهادة مكتوب ..

«شهادة صحية تعطى لمريض نفسي بعد إتمام علاجه وعودته لحالته الطبيعية أكملت القراءة: تشهد المستشفى بأن المريض حسام عبدالرحمن محمد السيد قد تم علاجه من مرض انفصام الشخصية وأنه تعافى تماماً، وأنه يمكنه عودته لممارسة حياته بشكل طبيعي ، وهذا إقرار منا بذلك ، وفي أسفل الشهادة إمضاء دكتور الحالة .. علاء الدين حسين غالب

- كدة أنا بدأت أفهم، يعني شخصيته الحقيقية هي حسام ، والبطاقة اللي شفتها واقعة على الأرض في شقته هي بطاقته الحقيقية ،

وطلع مريض نفسي وكان بيتعالج من انفصام شخصية ، آه بس الشهادة دي تاريخها من خمس سنين ، يعني حتى لو كان بيعاني زمان من مرض نفسي فهو المفروض انه اتعالج ورجع طبيعي زي تقرير المستشفى ما بيقول ، أمال ليه نصب عليا بشخصية تانية غير شخصيته الحقيقية؟ وليه كم البطاقات الكتيرة دي ؟ الموضوع باين عليه خطير ووراه سر كبير لازم اعرفه، بس ابتدي ازاي؟ تبتدي ازاي ياماري؟ آه هاتفرَّج في الاول على السيديهات دي واشوف فيها ايه واحاول اعرف مين الستات دول اللي كاتب اسمائهم وارقام تليفوناتهم على الاسطوانات.

أحضرت جهاز الكمبيوتر المحمول ووضعت فيه أول اسطوانة كان مكتوب عليها اسم يسرا عاطف عبدالحميد ، حين بدأت الاسطوانة في عرض محتواها صعقت لما رأت؛ حيث رأت مينا أو حسام مع امرأة على سرير غرفة نومه بشقته التي زارته فيها والتي فتشتها في غيابه ، وضعت يدها على فمها لتكتم صرخة كادت تخرج من قلبها الذي ارتجف بشدة من المشهد الذي رأته وجرح عينيها، لم تتمكن من استكمال مشاهدة الفيديو فأوقفته، وأخرجت الاسطوانة ووضعت بدلاً منها اسطوانة اخرى مكتوب عليها اسم حنان عبدالتواب السيد، وعند تشغيلها رأت مارأته في الفيديو بالاسطوانة السابقة ولكن مع امرأة أخرى تبدو أكثر بدانة ، أخرجت تلك الاسطوانة أيضاً، ووضعت الاسطوانة المكتوب عليها ماري اسحاق يعقوب ، رأت نفسها معه في الفيديو ولكن في الصالون ، كل ما حدث في زيارتها الأولى له تم تصويره وتسجيله على هذه الاسطوانة منذ ان دخلت من باب شقته حتى خرجت من هناك .

- يبقى هوَّ كدة عرف اني شفت بطاقته الحقيقية اللي كانت واقعة على الأرض في شقته، بس ازاي وهو مكنش باين عليه إنه عرف لما زُرته في المرة التانية !، ممكن يكون احتفظ بالفيديو في الاسطوانة من

غير ما يحاول يتفرج عليه لإنه مفيش حاجة حصلت بينن ا تستاهل انه يتفرج عليها من وجهة نظره، انا يادوب قعدت معاه عشر دقايق وكمان مادخلتش معاه اوضة النوم زي ماهو كان مخطط او كان متوقع ، يابن الكاااااللللب ، معقولة يطلع بالقذارة دي ؟! معقولة بيداري قذارته في شياكته ولبسه وكلامه المتذوق؟! طب والستات دول ذنبهم ايه؟ ياترى ضحك عليهم ازاي وقدر يوصلهم انهم يدخلوا معاه اوضة النوم؟ ياترى دول بنات ولا ستات متجوزين؟ ؟وليه مسجل مقابلاته معاهم ومصورهم بالطريقة القذرة دي؟ معقولة يكون بيبتهزهم بالفيديوهات دي؟!

أسئلة كثيرة ملأت رأس ماري بعد أن تأكدت أن كل الاسطوانات هي عبارة عن تصوير لعلاقاته الجنسية بأكثر من امرأة ، تساءلت هل يعرفهن جميعاً في وقت واحد؟ أمسكت شهادة المستشفى مرة أخرى وقرأت اسم الطبيب المعالج .. علاء الدين حسين غالب .

- هابتدي من هنا، الدكتور المعالج بتاعه، لازم أوصل له واقابله واسأله عن حالته ، أكيد هو اللي عنده الإجابة عن كل الأسئلة دي.

كلنا مرضي نفسيون ولكن بدرجات متفاوتة

# 18

عرفت ماري معلومات لا بأس بها عن مرض انفصام الشخصية عن طريق البحث عن ماهية المرض على الانترنت، والجدير بالذكر أنها علمت أن المرض يصنف مرضاً عقلياً وليس نفسياً كما كانت تعتقد، وهو أكثر الاضطرابات العقلية شيوعاً ، حيث يؤثر ذلك الاضطراب على التفكير والمشاعر والسلوك بطريقة تجعل المصاب به يواجه مشكلة في أداء العديد من المهام البشرية المتنوعة ، ومن أمثلة أعراض انفصام الشخصية .. الهلاوس، والأوهام الذهنية، وعدم ترابط الكلام، والسلوك المضطرب وكذلك فقد الإرادة وانعدام المشاعر أو تشويشها ، وقفت قليلاً عند الجزء الأخير وفكرت أن هذا ما يعاني منه حسام بالضبط وهو انعدام المشاعر وتشويشها، وهنا بدأت تقرأ كثيراً عن هذا الجزء بالتحديد ولكن كل المعلومات التي جمعتها لم تكن كافية بالنسبة لها، لازالت بداخلها أسئلة عديدة تحتاج إلى إجابات أكثر دقة، وتحديداً عن الحالة التي تخصها هي ، حالة إنسان أحبته وارتبطت به وكانت على وشك الزواج به، هي لا تنكر أنها أحبته، لذلك هي لن تغفر له أنه خدعها حتى لو صار من المستحيل معالجة الأمر ، ولكن شخصيتها الفضولية التي تهتم بأدق التفاصيل تغلبت عليها وجعلتها تقرر أنها لابد أن تعرف عن ذلك الشخص كل شيء، وأن تفعل شيئاً ترد به كرامتها قبل مغادرة الساحة ، بحثت أيضاً على شبكة الانترنت عن اسم الطبيب النفسي المدعو علاء الدين حسين غالب عسى أن تجد عنواناً لعيادته الخاصة أو أي أرقام لهواتف تمكنها من التواصل معه ولكنها لم تجد أية معلومة قد تساعدها ، فقررت أن تذهب إلى مستشفى العباسية للأمراض النفسية .

***

وبالفعل ذهبت إلى المستشفى وسألت عن الطبيب، فعلمت من أحد الأطباء الذين يعملون بالمستشفى أن الدكتور علاء قد ترك المستشفى منذ عامين لوصوله إلى سن التقاعد ، طلبت من ذلك الطبيب إعطاءها عنوان منزل دكتور علاء لحاجتها الضرورية إليه ..

- أنا ماعرفش في الحقيقة عنوان بيته وإذا كان لسة ساكن في نفس العنوان اللي كان ساكن فيه لما كان لسة بيشتغل في المستشفى ولا غيرّه .

- أقدر اجيب عنوانه منين؟ من فضلك ساعدني الموضوع خطير

- طيب اتفضلي معايا هاوديكي لأوضة مكتب الأرشيف ، دي عادةً بتبقى فيها عناوين الدكاترة وأرقام تليفوناتهم .

اصطحبها الطبيب الشاب إلى غرفة الأرشيف ودخل معها، و في غرفة الأرشيف كانت تجلس سيدة في منتصف الأربيعينيات تقريباً، سمينة، ترتدي جلباباً فضفاضاً أسود اللون، وتضع حجاباً للرأس بنفس اللون، حياها الطبيب ..

- صباح الخير يا أستاذة منى

- صباح الخير يادكتور يوسف، ازي حضرتك

- تمام الحمدلله، الأستاذة عاوزة تعرف عنوان دكتور علاء الدين حسين غالب ، فاكراه؟

- دكتور علاء .. أيوة طبعاً فاكراه بس ده طلع معاش من سنتين

- ايوة مانا قلت للاستاذة نفس الكلام بس هي عاوزة تعرف عنوان بيته

- طيب اتفضلي استريحي يا أستاذة وانا هادور لحضرتك على عنوان بيته في أرشيف الدكاترة .

جلست ماري على المقعد قبالة مكتب موظفة الأرشيف وهمَّ الطبيب الشاب بالانصراف

- طيب أستأذن انا عشان عندي شغل ، ياريت حضرتك يا أستاذة .... ماتشرفتش بالاسم

- ماري، اسمي ماري

- يا أستاذة ماري، ياريت لو حضرتك تعدي عليا في مكتبي بعد ماتاخدي العنوان

تعجبت ماري من طلبه ولكنها هزت رأسها بالإيجاب ، فانصرف الطبيب ، أما موظفة الأرشيف فقد بدأت البحث عن عنوان الدكتور علاء على جهاز الكبيوتر ، استغرق البحث قرابة الربع ساعة لكنها لم تجد العنوان ، فقالت بلهجة اعتذار ..

- انا اسفة يا أستاذة مالقتش العنوان، أصل النظام عندنا هنا في الارشيف اننا بنحتفظ بعناوين الدكاترة طول فترة عملهم بالمستشفى، وفي حالة طلوعهم على المعاش لمدة بنحتفظ بالبيانات بتاعتهم لمدة صغيرة ماتزيدش عن سنة على اساس ممكن المستشفى تحتاجهم أو حد زي حضرتك يجي يسأل على عنوان حد منهم لكن بعد السنة بنشيل المعلومات دي عشان نفضي مساحة لمعلومات عن دكاترة تانين لسة بيشتغلوا في المستشفى ، كان نفسي اساعدك بس حظك انك جيتي متأخرة، بعد ماشيلنا المعلومات من الأرشيف .

خرجت ماري و هي تشعر بالضيق لأنها لم تحصل عل ما أرادت، وقبل مغادرة المستشفى تذكرت طلب الطبيب الشاب بأن تمر عليه في مكتبه وبالفعل عادت لمكتبه ..

- اتفضلي يا أستاذة ماري

دخلت ماري وجلست على المقعد قبالة الطبيب، فهم من تعبيرات وجهها المقتضبة أنها لم تحصل على العنوان

- مالقتيش العنوان مش كدة؟

- لأ للاسف ، اتمسح من الأرشيف

- عندي سؤال فضولي، هو حضرتك عاوزة عنوان دكتور علاء ليه؟
- موضوع خاص مش هاقدر اقولك عليه أنا آسفة
- طب ماتقوليلي يمكن اقدر اساعدك ، انا برضو اشتغلت مع دكتور علاء تلات سنين قبل مايطلع على المعاش ويمكن لو قولتيلي عاوزاه في ايه أقدر أفيدك باي معلومة

ترددت قليلاً قبل أن تنطق ..

- كنت، كنت عايزة اسأله عن حالة كان بيعالجها زمان
- حالة تقربلك؟
- يعني، حاجة زي كدة
- شكلك مش عايزة تتكلمي مع اني عاوز اساعدك
- انا آسفة، اصل الموضوع حساس شوية ، وانا مش هاقدر اتكلم غير مع دكتور علاء شخصياً، عن اذنك

وبينما تهم للمغادرة استوقفها ..

- لحظة واحدة انا ممكن اساعدك توصلي للدكتور علاء

نظرت له نظرة الغريق الذي تعلق بقشة، ثم أكمل هو ..

- صحيح انا ماعرفش عنوانه ولكن اقدر اجيبلك رقم تليفونه
- بجد؟ ياريت ، أكون شاكرة ليك جداً يادكتور

قالتها بانتشاء

- اتفضلي استريحي وانا هاستأذنك خمس دقايق وراجع
- أوكي اتفضل

جلست تدعو الله أن يوفق هذا الطبيب في الحصول على رقم هاتف دكتور علاء ، وعادت أسئلة جديدة تتقافز في مخيلتها .. ماذا لو لم أحصل على رقم هاتف الطبيب أو عنوانه أو أي شيء يدلني عليه؟ ماذا لو لم أتمكن من الوصول إليه؟ أو ماذا لو تمكنت من الوصول إليه ولكنه رفض أن يساعدني ولم يوافق على التعاون معي واعطائي

أيـة معلومـة مفيـدة عـن حالـة حسـام؟ سـألت نفسـها السـؤال الأهـم .. مـاذا لـو حصلـت عـلى كل المعلومـات المطلوبـة عـن حالـة حسـام؟ كيـف سـأتصرف حيـال ذلـك؟ بمـاذا سـتفيدني تلـك المعلومـات مادمـت قـد قـررت فسـخ خطبتـي منـه؟ ألا يكفـي ذلـك؟ لا لايكفـي ذلـك، لـن أدعـه يمـضي بفعلتـه، أنـا بـدأتُ طريقـاً وعـليَّ إسـتكماله للنهايـة .

وبينـما هـي غارقـة في أفكارهـا وأسـئلتها التـي لا تنتهـي عـاد الطبيـب وفي يـده ورقـة صغـيرة بيـده ناولهـا إياهـا .

- اتفضـلي يااسـتاذة مـاري ، دي أرقـام تليفونـات دكتـور عـلاء ، رقـم البيـت والموبايـل ، عـلى فكـرة مكانـش سـهل عليـا اجيبهوملـك ، لأن الدكتور الـلي جبـت منـه الأرقـام مكانـش راضي يديهوملي احتراماً لخصوصيـة دكتور عـلاء لأنـه مـش بيـدي ارقامـه لأي حـد لـولا اني قولتلـه اني عـاوز الرقـم في حاجـة ضروريـة وخاصـة .

تناولت منه الورقة ممتنة

- انـا متشـكرة جـداً يادكتـور يوسـف ، مـش برضـو اسـم حضرتـك يوسـف؟ انـا سـمعت موظفـة الأرشـيف بتناديـك بالاسـم ده

ابتسم لها الطبيب ابتسامة هادئة ..

- ايـوة إسـمي يوسـف، ومفيـش داعـي للشـكر انـا تحـت امـرك في أي وقـت، لـو تحبـي اكتبلـك رقـم تليفـوني هنـا في المكتـب ورقـم موبايـلي انـا ماعنديـش مانـع

فكرت قليلاً ثم قالت ..

- أوكي ياريت

تنـاول ورقـة مـن مجموعـة الأوراق الصغـيرة عـلى مكتبـه وكتـب لهـا رقمـي مكتبـه وهاتفـه المحمـول واسـمه ثلاثيـا وناولهـا إياهـا، أخـذت مـن يـده الورقـة ودسـتها في حقيبتهـا دون النظـر فيهـا، كل مـا كان يهمهـا ويشـغل بالهـا في تلـك اللحظـة هـي الورقـة الأولى، صافحتـه شـاكرةً وغادرت

المستشـفى.

الحب الحقيقي يحول الذئب المفترس إلى قط مستأنس

# 19

بـدأ القلـق يتـسرب إلى قلـب حسـام مـن ناحيـة مـاري، لأنهـا لم تعـد تـرد عـلى مكالماتـه التليفونيـة في الفـترة الأخـيرة بشـكل لافـت ومقلـق، بيـد أنهـا باتـت تتغيـب كثـيراً عـن عملهـا عـلى غـير العـادة ، كـما أنـه لايجدهـا في بيتهـا كلـما ذهـب إليهـا ليسـأل عنهـا، تسـاءل.. أمعقـول؟! أمعقـول أن تكـون قـد عرفـت حقيقتـي؟ لا لا لا أظـن .. رددهـا حسـام محـاولاً طـرد مخاوفـه مـن قلبـه، مـاذا لـو كانـت قـد عرفـت حقيقتـي بالفعـل؟ كارثـة بالطبـع، مـاري بالنسـبة لي ليسـت مجـرد فتـاة أعجبتنـي بـل إنهـا حـب عمـري، نعـم حـب عمـري، وإن كنـت فعلت أشـياءً لم أكـن أتوقـع أن أفعلها ابـداً للتقـرب منهـا حتـى لـو اضطـررت لانتحـال شـخصية شـخص مسـيحي كي أصـل إليهـا ، حتـى لـو اضطـررت لخطبتهـا بـل والـزواج بهـا، نعـم نويـت الـزواج بهـا لأني لم أعـد أطيـق العيـش بدونهـا، مـن المـرة الأولى التـي رأيتهـا فيهـا في حفـل زواج صديقـي ميـلاد حنـا، حـين رأيتهـا في الكنيسـة ووقعـت عينـايَ عليهـا أعجبتنـي ، علمـتُ أنهـا قريبـة العـروس، هـي لم تـرني أو تلتفـت إليَّ أو تنتبـه لوجـودي، ولكنهـا لفتـت نظـري ببسـاطتها واحتشـامها الشـديد الأناقـة والرقـي، ابتسـامتها الدافئـة وعفويتهـا سـحراني، لم أكـن أتصـور لوهلـة وأنـا الـذي لطالمـا أذاب قلـوب النسـاء أن تسـحرني تلـك السـاحرة الصغـيرة، غلبتنـي شـهوة القنـص التـي تتملكنـي حـين تعجبنـي أي امـرأة ، أنـا القنـاص الماهـر الـذي لا يخطـيء سـهمه أبـداً، وكعـادتي كل مـرة وقبـل الانقضـاض عـلى فريسـتي الشـهية جمعـت كل المعلومـات الممكنـة عـن فريسـتي الجديـدة، علمـت مـن خـلال مراقبتـي لمـاري أنهـا غـير كل النسـاء اللـواتي عرفتهـن في حيـاتي قبلهـا، فتحفُظهـا الشـديد وصدهـا لي كلـما حاولـت الاقـتراب منهـا زادني تعلقـاً بهـا، حولتنـي تلـك الصغـيرة مـن قنـاص إلى فريسـة، نعـم وقعـت أنـا في براثنهـا، أحببتهـا، شـغلتني وتملكـت

كل كياني، تغلغلت في مسامي وبين ثنايا ضلوعي، أنا الذي لم أعرف للحب طريقا يوماً، لكن هنا انتبهت إلى الفارق الوحيد والخطير والذي لا يمكن تجاوزه أو التغاضي عنه وخاصةً بالنسبة لشخصية كشخصية ماري التي تقدس الزواج ولن تتنازل عن أهم شروطه وهو التوافق الديني، بالنسبة لي لم يكن ثمة ما يمنع زواجي بها فديني يعطيني الحق في ذلك ما دامت من أهل الكتاب، ولكني على يقين أن ماري الفتاة المتدينة التي تغار على دينها وتعاليمه وطقوسه التعبدية لن تقبل أبداً مجرد طرح الفكرة، إذن ماذا أفعل كي أفوز بها؟ ماذا أفعل حيال قلبي الذي تعلق بها وهي التي أصبحت حبي الوحيد الذي باتت الحياة بدونه مستحيلة، فكرت في تلك الحيلة الشيطانية، سأسمي نفسي مينا ! نعم سأزوِّر بطاقة هويتي، ألم أكن معتاداً على الإقبال على القيام بهذا العمل كثيراً من قبل؟! ولكن الأمر هذه المرة مختلف تماماً، أنا لا أريد أن أزوِّر بطاقتي للايقاع بإحدى النساء وإخفاء هويتي الحقيقية عنها ولكني سأزورها رغماً عني لأفوز بقلب من أحب، سيسامحني الله عن هذه الحيلة بالتأكيد، ولمَ لا؟ مادام الهدف نبيلاً! أليس الحب من عند الله؟ أليس الزواج شريعة الله؟ أليس الله سبحانه وتعالى هو علام القلوب والغيوب، وهو وحده يعلم أن قلبي لا يحمل لها غدراً أو خداعاً، لا يحمل لها سوى الحب، والحب فقط دون سواه.

تعمدتُ المرور بسيارتي في الشارع الذي تتريض فيه كل صباح أثناء ذهابها لمحل عملها كي ألفت انتباهها لي حتى لو اضطررت أن أخبطها خبطة خفيفة بسيارتي، خبطة لا تؤذيها ولكنها تجعلها تلتفت إليَّ، ولما لم تنفع تلك الحيلة وكذلك الحيلة الأخرى باشتراكي في دورة تدريب اليوجا في المركز الرياضي الذي تعمل فيه رغم أني تعمدت وقتها أن أعرفها باسمي المسيحي «مينا عادل عبدالمسيح» كي تطمئن لي ، كنت

مستعداً أن ألقي بنفسي في آتون النار في سبيل أن أرى في عينيها نظرة حب، وهي العنيدة الشرسة التي تتعامل معي بلا مبالاة وأنا المتيم بها.

عنادها وكبرياؤها زاداني تعلقاً بها، وإصراراً على الفوز بها ، طلبتها للزواج، تركتني ليالي أتقلب على نار الانتظار والخوف من الرفض، وحين أتتني البشارة منها بالموافقة على ارتباطي بها وخطبتها، كاد قلبي حينها يتوقف عن خفقانه من فرط سعادتي بها ، تعهدت أمام الله أن أكفر بها عن كل ذنوبي الماضية وأن أراعي الله فيها، وأن أجعلها أسعد امرأة في الكون، سوف أجعلها لا تندم يوماً على حبها لي وثقتها فيَّ، حبها وثقتها في هما كل ما أحتاجه ويعلم الله أني في أمس الحاجة إلى طهرها لأتطهر بها، ونقاء قلبها لأنقي نفسي من قذارتها، سأفتح معها صفحة جديدة لا تحوي سواها،

منذ أن خطبتها شعرت بمسئولية كبيرة تجاهها ، شعرت وأنا المستهتر دائماً بالنساء، شعرت بأني مسئول عنها مسئولية كاملة وأنه أصبح لزاماً علي المحافظة عليها وعلى طهرها وعدم تدنيسها تلك العفيفة النقية الشفافة ، حتى حين أصريتُ على اصطحابها معي إلى شقتي لم أكن أضمر لها سوءاً بالعكس كنت أحاول ان أثبت لنفسي أني تغيرت بالفعل وأثبت لها إني أكثر شخص في الوجود يمكنها الوثوق به، حتى إننا ونحن بمفردنا في شقتي كنت أشعر أن الله ثالثنا، ومادام الله قد استجاب لدعائي وجعلها تقبلني خطيباً لها فسأكون عند حسن ظنه بي ، ألم يكن هو عز وجل من قال «أنا عند حسن ظن عبدي بي»؟ إذن فأنا عبده أيضاً سأكون عند حسن ظنه بي. .

يارب، أنت عالم بقلبي ونيتي وضميري، تعلم أني صادق في حبها، يارب مثلما جمعتنا في الخطبة تمم لنا الزواج أيضاً ، لا تفرق بيني وبينها، أعلم إني لا أستحق أن اقف أمامك وأناجيك، لكني أعدك

بأننـي سـأصارحها بحقيقتـي بعـد الـزواج، سـأخبرها بأننـي فعلـت ذلـك مـن أجلهـا، مـن خـوفي مـن فقدانهـا، عسـاها تسـامحني حينهـا وتلتمـس لي العـذر، عسـاها تنـسى خديعتـي لهـا، وتذكـر شـيئاً واحـداً، وهـو إني أحبهـا .

يمكن للمرأة أن تسامح في الخيانة ولكنها أبداً لا تغفر الخديعة

# 20

فـور خـروج مـاري مـن مستشـفى العباسـية هاتفـت الطبيـب عـلاء وطلبـت منـه مقابلتـه لأمـرٍ هـام، وبعـد عـدة أسـئلة مـن قبلـه مثـل مـن أنـتِ؟ ولمـاذا تريديـن مقابلتـي؟ ومـا تودّيـن معرفتـه يمكـن السـؤال عنـه في الهاتـف بـدلاً مـن مقابلتـه، وافـق أخـيراً عـلى السـماح لهـا بزيارتـه في منزلـه وأعطاهـا عنوانـه بالتفصيـل، لكنـه طلـب منهـا زيارتـه في اليـوم التـالي لأنـه ليـس عـلى اسـتعداد لاسـتقبال أحـد في بيتـه اليـوم ، كان فظـاً معهـا أثنـاء المحادثـة التليفونيـة ولكنهـا لم تبـالِ، كل مـا كان يهمهـا هـو مقابلتـه مهـما كلفهـا الأمـر .

في اليـوم التـالي وفي الميعـاد المحـدد ذهبـت مـاري إلى الدكتـور عـلاء في بيتـه، وقفـت سـيارة الأجـرة أمـام مبنـى عتيـق ذو اسـقف شـاهقة الارتفـاع ، صعـدت ثمانـين درجـة سـلم كي تصـل إلى الـدور الرابـع، فالعـمارة لا يوجـد بهـا مصعـد كهربـائي لأنهـا مـن اربعـة طوابـق فقـط .

وقفـت تلتقـط أنفاسـها أمـام شـقة البـاب ذو الضلفتـين العتيقتـين مـن عمـر ذاك المبنـى ذي الرائحـة العطنـة التـي تنبعـث مـن جدرانـه المليئـة بالرشـح المـائي ، قـرأت لافتـة صغـيرة معلقـة عـلى الجانـب الأيمـن مـن البـاب مكتـوب عليهـا «دكتـور عـلاء الديـن حسـين غالـب، معالـج نفـسي» .

طرقـت البـاب طرقـة واحـدة، ففُتـح عـلى الفـور وكأن صاحـب الشـقة واقفـاً خلفـه ! وكانـت المفاجـأة أن مـنَ فتـح لهـا البـاب هـو ذاك الطبيـب الشـاب الـذي قابلتـه في مستشـفى العباسـية و الـذي أعطاهـا أرقـام هواتف دكتـور عـلاء ، دهشـت للمفاجـأة وصمتـت قليـلاً وهـي تنظـر للافتـة عـلى البـاب ثـم عـادت ونظـرت إلى الطبيـب الشـاب ..

- ايه ده؟ هو مش حضرتك .....؟!

- أيـوة يـا أسـتاذة مـاري، انـا دكتـور يوسـف الـلي قابلتيني في المستشـفى

واديتك ارقام تليفونات دكتور علاء

- طب ازاي انا مش فاهمة حاجة

- اتفضلي حضرتك وانا هافهمك

نظرت من خارج باب الشقة بتوجس وهي لازالت واقفة في مكانها ولم تتقدم خطوة واحدة إلا بعد أن سمعت صوتاً من الداخل يقول لها ..

- اتفضلي يااستاذة انا هنا

تقدمت خطوتين ونظرت إلى الداخل، حيث رأت رجلاً مسناً في حوالي الستين من عمره جالساً على كنبة الأنتريه؛ شعره أشيب، ناعم، وخفيف، وجسده بدين نوعاً ما ..

- اتفضلي يا آنسة أنا دكتور علاء

اقتربت أكثر من الرجل، ومدت يدها لمصافحته

- ازي حضرتك يادكتور

- اهلاً وسهلاً اتفضلي استريحي

أغلق الطبيب الشاب الباب ثم توجه ناحية دكتور علاء وضيفته، ووجه التحية للضيفة ثم قال موضحاً..

- طبعاً أكيد انتي مستغربة من وجودي هنا رغم اني قولتلك امبارح لما طلبتي مني عنوان دكتور علاء اني ماعرفش العنوان

نظرت له وكأنها تنتظر توضيح سبب كذبه عليها بالأمس، فعاجلها قائلاً ..

- أنا آسف اني اضطريت اقولك كدة

- ممكن اعرف حضرتك كدبت عليا ليه ؟ ما حضرتك كان ممكن تقولي انك تعرف عنوان دكتور علاء بس مش هاتقدر تديهولي!

- انا ماكدبتش عليكي ، انا قولتلك إن دكتور علاء مش بيدي عنوان بيته لحد إلا للقريبين منه بس وانا والدكتور علاء علاقتنا مش بس

علاقة استاذ بتلميذه لكن كمان كأننا أب وابنه، ولما لقيتك مصرة تقابليه، وانا عارف ان الدكتور ما بيقابلش حد، خرجت من أوضة المكتب واتصلت بدكتور علاء عشان اسأله اديكي رقم تليفوناته وعنوانه ولا لأ، قالي اديها الارقام بس ماتديهاش العنوان لحد ما اعرف مين هيَّ وعايزة ايه.

وهنا التقط دكتور علاء أطراف الحديث وأكمل قائلاً ..

- ولما كلمتيني امبارح واديتك العنوان والميعاد اللي ينفع تزوريني فيه كلمت دكتور يوسف وطلبت منه إنه يكون معايا أثناء مقابلتك، انا اسف اصلي ماتعودتش اقابل حد غريب في بيتي .

- أيوة بس الموضوع اللي عاوزة حضرتك فيه موضوع شخصي ومش عايزة حد غير حضرتك يعرفه .

شعر دكتور يوسف بالحرج وقام مستأذناً ..

- طيب هاقوم انا اعملّكوا اتنين قهوة على ما تخلّصوا كلامكم ، عن اذنكوا

بعدما تأكد دكتور علاء من انصراف دكتور يوسف وجه كلامه لماري قائلاً ..

- ادينا بقينا لوحدنا ياستي ، ها، ايه بقى الموضوع المهم والشخصي اللي مش عايزة حد غيرنا يعرفه؟

- أنا طالبة مساعدتك يادكتور ، مفيش حد غيرك هايقدر يساعدني في اللي انا جايالك عشانه

- اتفضلي انا سامعك، واكيد لو اقدر اساعدك مش هاتأخر

- حسام عبدالرحمن محمد السيد، فاكر حضرتك الاسم ده؟

ضيق الطبيب عينيه محاولاً تذكر الاسم مردداً إياه

- حسام عبد الرحمن محمد السيد... حسام عبد الرحمن محمد السيد

- حسام كان مريض بيتعالج في مستشفى العباسية من حوالي خمس سنين وحضرتك كنت المشرف على علاجه

- آه آه افتكرته، ماله بقى حسام؟

- انا عرفت إن حسام كان مريض بانفصام الشخصية ، انا كل اللي محتاجاه من حضرتك إني أعرف معلومات أكتر عن حالته ، يعني هل هو خف من حالته دي وشفي منها ورجع طبيعي زي ماتقرير المستشفى وحضرتك موقع عليه باسمك بيقول ؟ وعاوزة اعرف كمان مدى علاقته بأبوه وأمه، وهل ده كان له تأثير على حالته وهو اللي أدى إلي انه يصاب بالمرض دة وهل .....

قاطعها دكتور علاء وقد نفد صبره ..

- انتي تقربيله ايه عشان عاوزة تعرفي عنه كل المعلومات دي ؟

- أنا خطيبته

- خطيبته ازاي! مش انتي قولتيلي في التليفون إن إسمك ماري اظن ؟ تبقي خطيبته ازاي وهو مسلم وانتي مسيحية ؟!

- ما هو ده اللي انا جاية لحضرتك النهاردة عشانه يادكتور ، حسام ضحك عليا ، انتحل شخصية شاب مسيحي وسمَّى نفسه مينا عادل عبدالمسيح، وزوّر بطاقة بالاسم ده ، وانا للأسف صدقته واتخطبتله من غير ما أسأل عنه لإني ماشكيتش لحظة انه بيكدب عليا، لإن هيئته بتوحي بإنه شخص محترم وإبن ناس زي ما اكيد حضرتك عارف بما انك كنت المعالج بتاعه .

- طيب وانتي عرفتي ازاي شخصيته الحقيقية ؟

- بالصدفة، بس مش هاقدر اوضح لحضرتك اكتر من كدة، المهم اني عرفت وخلاص

- والمطلوب مني ايه دلوقتي؟

- انا هارفع قضية على حسام هاتهمه فيها بالنصب والتزوير،

وهاطلب شهادة حضرتك في المحكمة عشان كدة عاوزاك تساعدني بالمعلومات الكافية عن حالته ، وياريت لو في أي أوراق رسمية تانية غير ورقة التعافي تثبت إنه كان بيتعالج في المستشفى وإنه ....

قاطعها دكتور علاء للمرة الثانية منفعلاً..

- انتي عايزاني أفشي أسرار المرضي بتوعي ياآنسة ؟ لا أخلاقي ولا ضميري المهني يسمحولي بكدة .

انتفض واقفاً منهياً الحديث، فنهضت ماري بدورها ..

- يادكتور انا مش طالبة منك انك تفشي أسرار المرضى ، انا طالبة منك تساعدني مش أكتر

أتى الطبيب يوسف مسرعاً على صوتهما العالي محاولاً تهدأتهما مستفسراً عما حدث ..

- في ايه يادكتور علاء، اهدا من فضلك، الانفعال مش كويس عشان صحتك

- الآنسة جاياني عشان تاخد معلومات عن مريض من المرضى بتوعي ، متخيلة اني ممكن اشاركها في جريمة زي دي .

- جريمة! جريمة اني عاوزة أعرف معلومات عن حالة مريض نصب عليا وخدعني وانتحل شخصية تانية غير شخصيته الحقيقية وخطبني وكنا على وشك الجواز ، وتسمي اللي عمله فيا دة ايه يادكتور؟ مش جريمة ؟ تخيل حضرتك لو مكونتش اكتشفت حقيقته وكنا اتجوزنا كان هايبقى ايه موقفي؟!

طلب منها دكتور يوسف أن تهدأ ..

- اهدي يااستاذة ، ولو ممكن بعد اذنك تفهميني ايه اللي حصل ومعلومات ايه اللي عايزة تعرفيها وعن مين بالظبط

- انا مكونتش عايزة حد يعرف المصيبة اللي انا واقعة فيها لكن مضطرة احكي قدامك يمكن تقدر تقنع دكتور علاء انه يساعدني طالما

انـه بيعتـبرك زي ابنـه زي مانـت بتقـول

وقبل أن تنطق عاجلها دكتور علاء قائلاً ..

- قولتلك ياانسة اللي بتطلبيه مني ده مستحيل

بكت ماري محاولة استعطاف دكتور علاء ..

- انت ليه مش مقدّر حجم المصيبة اللي انا واقعة فيها يادكتور ؟!

طلب منها دكتور يوسف الجلوس ..

- مـن فضلـك اتفضـلي اسـتريحي يـا آنسـة مـاري واهـدي لـو سـمحتي، انـا لحـد دلوقتـي مـش فاهـم حاجـة

ثم وجه حديثه لعلاء ..

- وانت اتفضل استريح يادكتور لو سمحت

نظر له علاء دون استجابة، فقال له دكتور يوسف ..

- من فضلك

جلـس دكتـور عـلاء، ثـم تبعـه في الجلـوس دكتـور يوسـف، ومـاري، و قـد ازداد بكاؤهـا

وهي تحكي بصوت مبحوح و الكلمات تخرج من اعماقها ..

- الموضـوع محـرج وحسـاس ، انـا اتخطبـت لشـخص اسـمه مينـا وكنـا عـلى وشـك الجـواز بـس اكتشـفت بعـد خطوبتنـا بأيـام إنـه نصـاب وإنـه ماسـموش مينـا أصـلاً، وانـه مسـلم .

رد دكتور يوسف متعجباً ..

- ايه ؟ معقول الكلام ده ؟!

- ايـوة هـو ده الـلي حصـل ، وكل الـلي انـا محتاجـاه دلوقتـي مـن دكتـور عـلاء إنـه يسـاعدني بـأي معلومـة أقـدر اسـتخدمها ضـده وإنـه ييجـي يشـهد معايـا لمـا أرفـع عليـه في المحكمـة

- المحكمة !!!

- أيـوة طبعـاً، انـا لازم ارفـع عليـه قضيـة امـال اسـيبه يهـرب بعملتـه

دي مـن غـير مايتحاسـب؟!

ثم وجهت ماري حديثها إلي لدكتور علاء ..

- والـلي ماتعرفـوش يادكتـور عـلاء إن الأسـتاذ حسـام الـلي حضرتـك مـش عـاوز تسـاعدني اجيـب حقـي منـه اسـتغل سـتات كتـير تانيـة غـيري، والمصيبـة الأكـبر إنـه اسـتغلهم جنسـياً وصورهـم وهـما معـاه في السريـر، أنـا آسـفة طبعـاً إني بقـول كـدة، بـس هـو ده الـلي حصـل فعـلاً

فزع دكتور علاء لما سمعه ..

- بتقولي ايه؟

- انـا مكونتـش ناويـة اقولـك الـكلام ده لكـن موقفـك هـو الـلي اضطـرني اني اقـول كـدة، ويارِيـت حضرتـك ماتسـألنيش عرفتـي المعلومـات دي ازاي لاني مـش هاقـول ، انمـا انـا بأكدلـك يادكتـور ان المعلومـات مؤكـدة وسـليمة ميـة في الميـة ، احنـا لـو سـيبنا الشـخص ده يفلـت بعملتـه هايعمـل ده مـع سـتات تانيـة غـيري وغـير السـتات دول .

لانـت ملامـح الطبيـب عـلاء و بـدا عليـه أنـه قـد تراجـع عـن موقفـه قائـلاً..

- عايزة تعرفي ايه بالظبط يانسة؟

- عايـزة أعـرف قصـة حياتـه، يعنـي زي ماقلـت لحضرتـك علاقتـه بأبـوه وأمه

بدأ دكتور علاء في سرد حكاية حسام قائلاً ..

- حسـام اتولـد واتـربى في بيئـة غـير سـوية وغـير صحيـة نفسـياً بالمـرة ، أبـوه كان ضعيـف الشـخصية، ومامتـه عـلى العكـس تمامـاً كانـت شـخصيتها قويـة، وهـيَّ الـلي مسـيطرة عـلى البيـت وعـلى أبـوه نفسـه، وكانـت ليهـا علاقـات كتـير مـش مظبوطـة، علاقـات برجالـة في مناصـب كبـيرة في الدولـة وده خلاهـا قـدرت توصـل لمجلـس الشـعب وتبقـى عضـوة في البرلمـان، حسـام شـافها أكـتر مـن مـرة في أوضـاع مـش مظبوطـة مـع رجالـة غريبـة،

والمصيبة إن ده كان بيحصل في بيت الزوجية، وده خلى حسام يكره أمه ويفقد احترامه ليها، وخلى عنده نزعة انتقامية ناحية أمه، وكان بينتقم منها في كل ست بيقابلها، وكان بيتعمد اختيار الستات المتجوزين ، وكان بيستخدم ذكاؤه الحاد في إنه يوقع أي ست باقل مجهود، لأن زي مانتي قولتي هيئته وشكله ولباقته كمان بيخلوه مصدر جاذبية وثقة لأي ست ، لما جاني المستشفى وطلب مني مساعدته عشان أعالجه، وقتها قالي إنه نفسه يبطل يعمل كدة لأن ضميره بيأنبه، وإنه مش عايز يكمل في الطريق دة، وطبعاً أنا بدوري كطبيب نفسي معالج له كنت بساعده، وكان فعلاً بيوقف ويبطل،لكن كان بيرجع يعمل كدة تاني بعد مدة قصيرة كل ما كان بيكتشف علاقة جديدة من علاقات أمه المشبوهة، بس هو عمره ما قالي انه كان بيصور الستات اللي بيوقعهم ، دي معلومة جديدة بالنسبة لي، ومعرفش ليه خباها عليا وايه هدفه من تصويرهم اصلا، المهم اني فضلت معاه لحد ما خف تماماً وانا لما اتأكدت بعد فترة كبيرة من علاجه إنه بقى إنسان سوي كتبتله شهادة بكدة، ومن وقتها ماشوفتوش وماسمعتش عنه أي أخبار في الحقيقة .

- طيب لو طلبت شهادة حضرتك في المحكمة هاتروح وتشهد باللي حضرتك قولته دلوقتي ؟

نظر إليها يوسف المندهش مما سمعه من دكتور علاء ومن ماري، وقبل أن يجيب دكتور علاء على سؤال ماري، بادر دكتور يوسف بسؤال ماري ..

- آنسة ماري ، عندي سؤال فضولي ، اسمحيلي اسألهولك إذا كان السؤال مش هايضايقك

- اتفضل

- العلاقة بينك وبين اللي اسمه حسام ده وصلت لإيه بالظبط؟

- لا دماغك ماتروحش لبعيد يادكتور، اللي بيني وبينه لا يتعدي علاقة خطيب بخطيبته وبس، يعني حتى لو مكونتش اكتشفت حقيقته ماكونتش هاسمحله يلمسني قبل الجواز، انا متربية وبفهم في الأصول كويس

لا تدري ماري سبب الارتياح والابتسامة العريضة التي لاحظتهما على وجه الطبيب يوسف من إجابتها على سؤاله، ولكنها استدركت موجهةً حديثها للدكتور علاء ..

- ها يادكتور علاء ماجاوبتنيش، لو طلبت شهادتك في المحكمة هاتروح وتشهد معايا؟

تنهد دكتور علاء تنهيدة عميقة وأجاب ..

- بعد كل اللي قولتيه ده ماينفعش ما أروحش اشهد بالحقيقة وإلا أبقى بضلل العدالة

- الحمدلله طمنتني، أستأذن انا ونتقابل في المحكمة إن شاء الله .

همت للمغادرة فطلب منها دكتور يوسف إيصالها ..

- تسمحيلي أوصلك ؟

- لا ميرسي يادكتور ، انا عارفة طريقي كويس ، عن إذنكوا

***

خرجت ماري من بيت الطبيب علاء محددةً مراحل خطتها بالترتيب، ستحاول الوصول أولاً إلى أي امراة من السيدات اللتي كان حسام على علاقة بهن كي تعزز موقفها في القضية، ثم تهاتف حسام في الخطوة التالية وقبل الأخيرة كي تفصح له عما اكتشفته عنه ونيتها في مقاضاته وفضحه أمام الناس، ثم تأتي المرحلة الأخيرة وهي جمع كل الأدلة والمستندات التي تثبت ادانته وتورطه في أفعال مشينة، والذهاب إلى أقرب مركز شرطة وتحرير محضر ضده .

كلما حاول قلبها الصفح والغفران أبى عقلها إلا أن يحرضها على

الثـأر لكرامتهـا، وكلـما أشـتعلت نـيران الذكريـات الحلـوة معـه بداخلهـا أخمدتهـا بتذكـير نفسـها بخديعتـه، هـي الآن لا تدافـع عـن حقهـا فقـط، وإنمـا وضعـت نفسـها في موضـع المحامـي الـذي يدافـع عـن كل النسـاء اللـواتي وقعـن في حبائلـه، وتجنـب نسـاء أخريـات مـن الوقـوع في نفـس المصـير ، الـصراع بـين قلبهـا وعقلهـا صراع مميـت أطـاح بالنـوم بعيـداً عـن مقلتيهـا، وأبدلـه بالسُـهد والبـكاء، تُـرى مـن سـينتصر في النهايـة؟ هـل تغفـر لـه في اللحظـة الأخـيرة وتتراجـع عـن موقفهـا ورغبتهـا في الانتقـام وتفـوض أمرهـا للـه فهـو خـير منتقـم ؟ أم أنهـا سـتغلب عقلهـا عـلى قلبهـا وتنتقـم هـي لنفسـها بنفسـها ؟ مـاذا سـتختار؟ الحـب أم الانتقـام ؟!

أن تتجرع مُر الحقيقة أفضل من العيش في الزيف والكذب

# 21

أحـضرت مـاري الاسـطوانات مـرة أخـرى لا لتشـاهدها هـذه المـرة ولكـن لتقـرأ البيانـات المدونـة عـلى اغلفتهـا ومحاولـة الاتصـال بصاحباتهـا ، لاحظـت شـيئاً لافتـاً للانتبـاه لم تلحظـه مـن قبـل، لاحظـت بجـوار الاسـم النسـائي المـدون عـلى كل اسـطوانة لاحظـت وجـود علامـة + يتبعهـا اسـم ذكـوري، قـرأت عـلى غـلاف الاسـطوانة الأولى اسـمي سـارة محمـود مصطفى + صـلاح عامـر عبيـد، طلبـت رقـم الهاتـف المحمـول المـدون عـلى الغـلاف مـع الاسـمين ولكنهـا وجـدت الهاتـف غـير متـاح ، تناولـت اسـطوانة أخـرى مكتـوب عليهـا اسـم يـسرا عاطـف عبدالحميـد + حـازم المهـدي وطلبـت الرقـم المـدون عـلى الغـلاف أتاهـا رنـين ولكـن لم يأتهـا رد ، عـاودت الاتصـال بنفـس الرقـم فأتاهـا الـرد ..

- الو

- الو ، ايوة استاذة يسراعاطف عبدالحميد

- ايوة يافندم ، مين معايا؟

- انـا اسـمي مـاري، حضرتـك ماتعرفنيـش بـس انـا محتاجـة اقابلـك ضروري لأمـر يخصـك

- أمر يخصني أنا؟ أمر ايه؟

- مـش هاقـدر اوضحلـك في التليفـون اكـتر مـن كـدة، يفضـل اقابلـك عشـان نتكلـم براحتنـا

- انـا اسـفة ماتعودتـش اقابـل حـد ماعرفـوش، لـو حضرتـك ماقولتليـش عـاوزاني في ايـه، يبقـى انـا مضطـرة اقفـل الخـط

كانـت عـلى وشـك غلـق الخـط لـولا أن مـاري عاجلتهـا بكلمـة جعلتهـا تتراجـع ..

- حازم المهدي

تلجم لسان يسرا فور سماعها الاسم وقبل أن ترد استطردت ماري..

- أظن انك تعرفي الاسم دة كويس وعارفة انا أقصد ايه، من فضلك قابليني النهاردة الساعة 6 المغرب في كازينو الشجرة اللي على النيل ، وماتخافيش انا مش ناوية أأذيكي ولا أضرك ، انا بس هاتكلم معاكي كلمتين مهمين ومش هاخد من وقتك اكتر من نص ساعة

أغلقت يسرا الخط ولكنها شعرت بالخوف بمجرد ذكر اسم حازم على لسان تلك الفتاة التي لاتعرفها، خيل لها في هذه اللحظة أن كل الناس عرفت بعلاقتها به، وان تلك الفتاة تريد مقابلتها لابتزازها.

أما ماري فتناولت الاسطوانة الثالثة وقرأت الاسمين المدونين عليها حنان عبدالتواب السيد + شريف ناصر البنا ، طلبت الرقم المحمول المدون على الغلاف ، دهشت حنان من ظهور رقم غريب على شاشة هاتفها المحمول ، هي لم تعتد ان تهاتفها أرقام غريبة، ردت ..

- ألو
- صباح الخير
- صباح النور
- مدام حنان عبدالتواب السيد؟
- ايوة
- معاكي ماري اسحاق يعقوب
- اهلاً وسهلاً، أي خدمة؟
- في الحقيقة أنا عايزة اقابلك عشان حاجة مهمة تخصك
- اللي هي ايه يعني الحاجة المهمة اللي تخصني دي ؟
- هاتعرفي لما اقابلك، وقبل ماتوافقي او ترفضي الموضوع يخصك انتي وشريف

تلعثمت حنان وحاولت انكار معرفتها بصاحب الاسم المذكور

- شريف مين؟ انا معرفش حد بالاسم دة !

- معقول! مع انه هو يعرفك كويس اوي

- انتي عايزة ايه بالظبط؟

- مانا قولتلك عاوزة اقابلك ضروري عشان مصلحتك، تعالي النهاردة كازينو الشجرة اللي على النيل الساعة 6 المغرب ، ما تتاخريش، ماشي؟

قالتها ماري بنبرة بها نوع من التهديد كي تجبر حنان على مقابلتها

- ماشي ، هاجيلك الساعة 6 في كازينو الشجرة لما اشوف اخرتها

أنهت ماري المكالمة واغلقت الخط، وتناولت الاسطوانة الرابعة والأخيرة والتي باسمي شهيرة أحمد عبدالجواد + أحمد سعيد المصري لكن الرقم كان غير متاح مثل الرقم الأول ، عاودت الاتصال أكثر من مرة بالرقمين الأول والأخير ولكن كل مرة كانت تحصل على نفس النتيجة .. الهاتفين مغلقين.

في الزمان والمكان المحددين ذهبت ماري وبحقيبتها المظروف الأصفر الكبير وبداخله كل الأدلة التي تدين حسام، فور جلوسها على مقعد المنضدة المطلة على النيل جاءتها واحدة من السيدتين اللتين هاتفتهما ومعها طفل صغير، من هيئتها عرفت أنها حنان ، كانت ترتدي بلوزة مزركشة بأكمام طويلة وجونلة طويلة تصل إلى أخمص قدميها ، وحجاب يغطي رأسها إلا من خصلة صفراء تطل من تحت الحجاب، وقفت عند باب الكازينو تنظر إلى المناضد فأشارت لها ماري من بعيد ، فاقتربت من المنضدة التي تجلس عليها ماري فقامت ماري لاستقبالها ..

- انتي حنان مش كدة؟

ردت محنان بغيظ مَن أُجبِر على المجيء ..

- ايوة انا حنان، انتي بقى اللي كلمتيني الصبح وبتهددديني ؟

- انا مش بهددك ، اتفضلي اقعدي بس وانتي هاتفهمي اني مش بهددك واني عايزة مصلحتك زي ماقولتلك في التليفون

جلست حنان وبجوارها ابنها
- دة ابنك؟
- ايوة
- اسمه ايه؟
- مهند
- الله اسم جميل
داعبت ماري مهند ومدت يدها له لتصافحه
- ازيك يانودي
- الحمدلله ، ازيك انتي
- انا كويسة ياقلبي، انت أمور خالص زي ماما
ثم وجهت كلامها لحنان ..
- ربنا يخليهولك
- شكراً، ممكن اعرف بقى عايزاني في ايه؟ انا مستعجلة وعايزة ارجع البيت قبل ماجوزي يرجع من شغله
- مش هاأخرك ماتقلقيش ، انا بس مستنية ست تانية جاية هاتشاركنا القعدة
انتفضت ماري فزعاً، وهمست لماري حتى لا يسمعها ابنها ..
- ست تانية ؟ انتي جبتي سيرة شريف لحد غيرنا احنا الاتنين؟
- لا خالص ما تخافيش ، اهي الست اللي بقولك عليها جت اهي
التفتت حنان ناحية الباب حيث تنظر ماري، رأتا سيدة رشيقة ترتدي نظارة شمسية عسلية اللون، وشعرها طويل مرفوع على شكل ذيل حصان، ترتدي بنطالاً أسود وبلوزة زرقاء اللون ، نهضت ماري لاستقبالها ..
- اهلا استاذة يسرا
- انتي ماري؟

- ايوة اتفضلي

أشارت لها بالجلوس ، جلست يسرا متعجبة من وجود شخص ثالث حيث كانت تعتقد أنها ستقابل ماري بمفردها، نظرت للسيدة الأخرى وتبادل الثلاث نساء النظرات في توجس فبادرت ماري بالحديث ..

- طبعاً انتوا ماتعرفوش بعض

ثم أشارت بيدها مُقدمة كل واحدة للأخرى ..

- يسرا ، حنان ، ممكن ياحنان تخلي مهند يلعب مع الأطفال على المرجيحة اللي هناك دي ، مايصحش يسمع الكلام اللي هانقوله دلوقتي

نظرت حنان إلى ابنها وفكرت أنه بالفعل لا يجب أن يعرف أن أمه كانت على علاقة برجل غير أبيه، فأخذته من يده وذهبت به إلى حديقة الأطفال المقابلة لهم ووضعته عليها وأوصت به الاطفال الأكبر منه سناً ، ثم عادت لتنضم مرة أخرى إلى ماري ويسرا ، تكلمت ماري ..

- طبعاً كل واحدة منكوا فاكرة اني أعرف التانية، لكن الحقيقة احنا التلاتة مانعرفش بعض، وأول مرة نتقابل

تعجبت السيدتان، فبدأت ماري بالتوضيح حتى تزيل الغموض الذي اكتنف هذه الجلسة المريبة بالنسبة لضيفتيها ..

- صحيح اننا مانعرفش بعض لكن بتجمعنا حاجة واحدة وبيربطنا راجل واحد

نظرتا إليها بنظرات أكثر دهشة ، فأردفت ..

- هاوضحلكوا الصورة

- ياريت عشان اظن محدش فينا فاضي يسمع ألغاز

- على مهلك عليا يايسرا، اصبري، انا جايالكم في الكلام اهو

ثم أخرجت من حقيبتها المظروف الأصفر الورقي الكبيرواخرجت منه ثلاث بطاقات شخصية ووضعتهم أمامهما على المنضدة

- بصوا معايا كدة

نظرت السيدتان فوجدتا أن البطاقات الثلاث تحمل صورة شخص واحد ولكن بثلاثة أسماء مختلفة ، أخذت يسرا الثلاث بطاقات وقربتهم نحو ناظريها متفحصة إياهم بشكل أكثر تدقيقاً وتساءلت ..

- ايه دول؟ انا مش فاهمة حاجة !

فأتبعتها حنان ..

- ولا انا فاهمة حاجة

فأجابتهما ماري ..

- معاكو حق، أنا برضو حصلي زيكوا كدة بالظبط أول ماشوفت البطايق دي ، مكونتش فاهمة حاجة، وحتى بعد ما فهمت مكونتش قادرة أستوعب الموضوع من الصدمة

- انتي عايزة تقولي إن البطايق دول كلهم لشخص واحد ؟

- بالظبط يايسرا، حازم هو شريف هو مينا

- يعني ايه؟ يعني شريف مش شريف؟ طب هو ضحك عليا ليه و اداني بيانات غلط عنه ؟ وهو انهي واحد في دول ؟

- مش هاتصدقي لما اقولك انه هو ولا واحد في دول ياحنان ، الشخص اللي صورته في البطايق دي هو شخص مُـزَوِر ، ومش بس كدة، دة كمان محترف الإيقاع بالستات واللعب بمشاعرهم زي مالعب بمشاعركو ومشاعري انا كمان

بدت الصدمة بوضوح على ملامح يسرا وحنان بدتا غير مصدقتين ما قالته ماري، وأجابت حنان مرتبكة..

- مشاعرنا إيه ياست انتي؟ اتكلمي عن نفسك وبس، انا مفيش حاجة بيني وبينه الشخص دة أصلاً

- ماتخافيش مني ياحنان، وماتنكريش، لاني متأكدة من اللي انا بقوله

- متأكدة ازاي يعني؟

- اهـو دة الـلي طلبـت اقابلكـم علشـانه ، الشـخص دة اسـمه حسـام ودي بطاقتـه الحقيقـة

أخرجـت مـن المظـروف بطاقتـه الحقيقيـة ووضعتهـا بجـوار البطاقـات الثـلاث، فانفعلـت حنـان قائلـة..

- عمومـاً انـا قطعـت علاقتـي بيـه خـلاص، مايهمنيـش إذا كان اسـمه شريـف ولا حـازم ولا مينـا ولا حسـام، ولا عفريـت أزرق حتـى .

ردت عليها ماري ..

- جايز مايهمكيش دلوقتي

ثـم أخرجـت مظـروف الاسـطوانات وأخرجـت منـه اسـطوانتي حنـان ويـسرا ، وأمسـكت باسـطوانة حنـان ثـم أردفـت .

- إنما بعد ماتشوفي السي دي دة أكيد هايهمك

تناولت حنان منها الاسطوانة متسائلة ..

- وايه دة كمان ؟

ثم ونظرت إلى غلافها، وتساءلت ..

- واسمي ورقم تليفوني مكتوبين عليها ليه؟

- انـا اسـفة في الـلي هاقولهولكـوا دلوقتـي ، بـس انـا عاوزاكـم تتماسـكوا لمـا تعرفـوا الموجـود في السـيديهات دي

قلقـت يـسرا مـن مقدمـة مـاري وخاصـةً بعـد رؤيتهـا اسـمها عـلى إحـدى الاسـطوانات ..

- ايـه الـلي جـوة السـيديهات دي؟ قلقتينـا ، اتكلمـي عـلى طـول لـو سـمحتي بـلاش مقدمـات

- دي سـيديهات كان حسـام مسـجل عليهـا فيديوهـات لـكل واحـدة فيكـم وهـي - سـوري يعنـي - معـاه في السرير...ثـارت يـسرا!

- ايـه الـلي انتـي بتقوليـه دة؟ أصـلا أنـا ماحصلـش حاجـة بينـي وبـين

حـازم أكـتر مـن كونهـا علاقـة عاطفيـة

- واللـه مـش انـا الـلي بقـول يايـسرا، السـيديهات هـي الـلي بتقـول كـدة ، بصـوا انـا عايزاكـم تطمنـوا انـا لا جايـة ابتزكـوا ولا اسـتغل السـيديهات دي ضدكـوا، بالعكـس احنـا كلنـا في مركـب واحـدة ، انـا اصريـت اقابلكـوا عشـان نفكـر مـع بعـض ازاي نقـدر نخـرج كلنـا مـن المصيبـة الـلي وقعنـا فيهـا كلنـا دي

- انتي برضو كنتي على علاقة بيه ؟

- لأ ، انا خطيبته

- اه يبقى البطاقة اللي باسم مينا هي اللي ضحك عليكي بيها

- بالظبط كدة بداتي تستوعبي يايسرا

- يعني انتي برضو هو مصورك وانتي معاه في السرير ؟

- لا انـا بالنسـبة لي الموضـوع مختلـف، صحيـح انـا روحـت معـاه شـقته لكـن الحمدللـه ماحصلـش بينـي وبينـه أي حاجـة

- ولمـا مـا حصلـش بينـك وبينـه حاجـة مهتمـة ليـه أوي كـدة بيـه وبالـلي عرفتيـه عنـه ؟!

- واسيبه يفلت بعملته السودا دي بسهولة كدة؟

- طيب ممكن اعرف انتي بتفكري في ايه؟

نظرت ماري إلى حنان التي لاذت بالصمت مدة طويلة، وسألت ..

- ايه ياحنان، سرحانة في ايه؟ ومش بتشاركينا الكلام ليه؟!

لم تـرد حنـان ، حيـث كانـت تنظـر بعيـداً تجـاه ابنهـا الـذي يلهـو عـلى الأرجوحـة في سـعادة مـع الأطفـال، تفكـر في صورتهـا أمامـه إذا مـا افتضـح أمرهـا وعـرف أنهـا كانـت عـلى علاقـة برجـل غـير أبيـه، صحيـح أنـه في سـن صغـيرة جـداً لا تسـمح لـه باسـتيعاب مثـل تلـك الأمـور، لكنـه سـيفهم حـين يكـبر أن أمـه التـي يحبهـا امـرأة خائنـة !

نادتها ماري مرة اخرى ..

- حنان...حنان

فانتبهت حنان أخيراً ..

- أيوة

- مالك، روحتي فين؟ انتي مش معانا خالص

- لا ابدا انا معاكوا ، الظاهر ان ربنا بيعاقبني ومش مسامحني على غلطتي، وعشان كدة أراد انه يفضحني .

بكت حنان بحرقة فربتت على ظهرها ماري محاولة طمأنتها ..

- ماتخافيش ياحنان ، ولا انتي كمان يايسرا ، محدش هايعرف حاجة عن علاقتكم بالشخص دة ، انا هارفع قضية عليه وهاتهمه فيها بالتزوير وبالاستغلال الجنسي لأكتر من سيدة وتصويرهم بدون علمهم.

انتفضت حنان ..

- لأ طبعاً ماتعمليش كدة، انتي كدة تبقي بتفضحينا احنا

وأيدتها يسرا ..

- وانا برضو مش موافقاكي على اللي بتقوليه دة ياماري، انتي فعلاً كدة تكوني بتفضحينا احنا قبل ماتفضحيه هو

- ماتخافوش، السيديهات دي قبل ماوديها للمحكمة هاظبطها ببرنامج مونتاج بحيث ما يظهرش وشكوا فيها، يعني محدش هايقدر يتعرف عليكوا

- طيب ونضمن منين انه مش عنده نسخ تانية أو حتى عامل لها حفظ على جهاز الكمبيوتر بتاعه؟! دة محترف تصوير ومونتاج وفوتوشوب بحكم شغله كمصور

- من الناحية دي اطمني، انا اتاكدت إن اللاب توب بتاعه مش عليه نسخة من السيديهات ومافتكرش انه عامل نسخة تانية من

السـيديهات ، لإنـه أذكى مـن كـدة ، هـو كل الـلي يهمـه والـلي بيخليـه يسـجل لـكل سـت عمـل معاهـا علاقـة إنـه يتفـرج عليهـا وهـو لوحـده مـش علشـان يفضحهـم أو يبنزهـم بدليـل إنـه ماحاولـش يبتـز أي واحـدة فيكـم لغايـة دلوقتـي، مـش كـدة ؟

فكرت يسرا ثم أجابت ..

- وانتي اتاكدتي منين انه مش معاه نسخ تانية؟

أخرجت يسرا ورقة ووضعتها أمامهما ثم اجابت ..

- بصوا كدة في الورقة دي

نظرت يسرا وحنان في الورقة فسألت يسرا ..

- دي شكلها ورقة رسمية، العنوان بيقول مستشفى العباسية

- دي شـهادة تعـافي مـن مستشـفى العباسـية بتثبـت إن حسـام كان مريـض بانفصـام شـخصية وإنـه اتعـافى وأصبـح شـخص سـوي، الشـهادة دي بتقـول إنـه اتعـافى مـن خمـس سـنين، لكـن الحقيقـة إنـه مـازال بيـمارس نفـس افعالـه القـذرة دي زي مـاكان بيمارسـها في نفـس فـترة علاجـه

تعجبـت حنـان مـن كـم المعلومـات الهائلـة التـي بحـوذة مـاري وتسـاءلت ..

- انتـي عرفتـي الحاجـات دي ازاي؟ ومنـين جبتي الشـهادة والاسـطوانات دي ؟

- هاقولكـوا، انـا عرفـت في الأول انـه مـزور بالصدفـة، لمـا لقيـت بطاقتـه الحقيقيـة واقعـة عـلى الأرض في شـقته، بعدهـا قـدرت أسرق مفاتيحـه وادخـل شـقته في غيابـه وخـدت كل الحاجـات دي مـن خزنتـه، ومـش بـس كـدة دانـا كـمان قـدرت اوصـل للدكتـور الـلي كان بيعالجـه زمـان وطلبـت منـه انـه يشـهد معايـا في المحكمـة ، هـو مكانـش موافـق في الأول لكـن الحمدللـه وافـق اخـيراً وهايشـهد معايـا

- يعنـي انتـي روحتـي شـقته، امـال بتقـولي ازاي انـه ماحصلـش حاجـة

بينك وبينه ؟!

- انا فعلا قلت كدة وفعلا ماحصلش حاجة بيني وبينه لاني ماقعدتش معاه اكتر من عشر دقايق ، ومادخلتش معاه اوضة النوم، انا كنت قاعدة في الصالون وهو كان في المطبخ

- اه فهمت، تعرفي انه اخد مني الفين جنيه قالي إنه محتاجهم علشان يشتري كاميرا جديدة لشغله ، لا والمصيبة انه كان طالب مني خمس الآف جنيه بس انا قولتله مش معايا الا الفين بس ، خدهم مني وقالي انه هايردهوملي اول ما يجيله فلوس

- يابن النصابة، يعني مش بس بيستغل الستات عاطفياً وجنسياً لأ وكمان بيستغلهم مادياً، دة بتاع كله بقى ، ماخلاش

- المهم خلونا في مصيبة الاسطوات دي دلوقتي هانعمل فيها ايه، لو جوزي عرف الموضوع دة هايطلقني وهايحرمني من ابني وهاتفضح قدامه وقدام كل الناس .

قالتها حنان بصوت مرتعش ثم عادت للبكاء ، فقامت ماري بطمأنتها وتهدئتها ..

- اهدي ياحنان، ان شاء الله مفيش حاجة من كل دة هاتحصل ، مش هاسمحله يفلت بعملته، ولا انه يبوظ حياة اي واحدة فينا ، عشان كدة لازم اسجنه .

- طيب واحنا هانستفيد ايه من سجنه يامارى؟ افسخي خطوبتك منه وخلاص واحمدي ربنا انه مالمسكيش ولا صورك، انا كمان ماقدرش اوافقك على موضوع البلاغ والنيابة والمحكمة دة خالص ، انا جوزي مسافر ولو عرف اني على علاقة براجل غيره شكلي هايبقى زبالة قدامه وقدام أهلي وأهله، وخاصةً أهلي دول ناس صعايدة ومسألة الشرف عندهم تطير فيها ارقاب، والناس هايقولوا ماعرفتش تصون عرض جوزها في غيابه ، ارجوكي بلاش حكاية البلاغ دي وهو ربنا ينتقم

منـه ويجيبلنـا حقنـا منـه وخـلاص.

- يايـسرا افهمينـي، احنـا لـو بعدنـا عنـه وسـيبناه مـن غـير مـا يتحاكـم هايكـرر الـلي عملـه معانـا ويـا سـتات تانيـة غيرنـا ويـروح ضحيتـه سـتات كتـير غـير ضحاياه الـلي قبـل كـدة، وياسـتي اطمنـي انتـوا مـش هاتكونـوا في الصـورة خالـص انـا الـلي هاقـدم فيـه البـلاغ لوحـدي، انـا بـس حبيـت اعرفكـم حقيقتـه علشـان لـو لسـة مخدوعـين فيـه وعـلى علاقـة بيـه تقطعوا علاقتكـم بيـه فـوراً ، بصـوا انـا مقدرة موقفكـوا انتـوا الاتنـين وزي ماقولتلكوا محـدش هايعـرف انكـوا انتـوا الـلي في الفيديوهـات دي وهاغـير اغلفـة السـيديهات باغلفـة تانيـة فاضيـة عشـان اسـاميكوا واراقـم تليفوناتكـوا ماتتعرفـش.

نظـرت يـسرا إلى حنـان كأنهـا تسـالها عـن رأيهـا في كلام مـاري، ثـم نظرتـا إلى مـاري في توجـس ، فطمأنتهـما مـاري قائلة..

- صدقـوني أنـا عمـري ماهضركـوا، انـا بخـاف عليكـوا زي مانتـوا خايفـين عـلى نفسـكوا ويمكـن اكـتر كـمان

فردت حنان ..

- خلاص اللي شايفاه صح اعمليه وربنا يكفينا شر الفضيحة

ثم نظرت إلى السماء كأنها تناجي الله ، فأعقبتها يسرا قائلةً ..

- ربنا يستر

لو رأيت نفسك وأنت ترتكب إثماً ستدرك حينها مدى رحمة الله بعباده

# 22

عـادت حنـان إلى بيتهـا محملـة بالهمـوم والمخـاوف والهواجـس، تخـشى افتضـاح أمرهـا وخاصـةً أمـام زوجهـا الـذي تحـدَّى أمـه مـن أجلهـا، تخيلـت لـو أن علاقتهـا الآثمـة بذلـك الشـخص المريـض عُرفـت سـتكون حماتهـا هـي أول اللائمـين ، سـتقول لابنهـا حينهـا : «ألم أقـل لـك لاتتزوجهـا؟! ألم أحـذرك مـن سـلوكها قبـل الـزواج؟ لكنـك ومـع ذلـك تحديتنـي وتزوجتهـا رغـماً عـن أنفـي، وهـا هـي النتيجـة، انكشـفت حقيقتهـا أمامـك ، خـذ منهـا الولـد وألقهـا في أقـرب مقلـب للقمامـة ، المـكان الوحيـد الـذي تسـتحقه هـذه الفاجـرة اللعـوب»، تخيلـت أن النـاس ستشـير إليهـا في الشـارع وتقـول «هاهـي السـاقطة الخائنـة التـي لم تخـشَ اللـه ولم تحـترم زوجهـا، المنحلـة التـي خالفـت الأعـراف والتقاليـد غـاص قلبهـا بـين ضلوعهـا بمجـرد التفكـير في تلـك الأمـور، احتضنـت ابنهـا بقـوة، كأنهـا تعتـصره بذراعيهـا لتدخلـه إلى أحشـائها كالقطـة التـي تـأكل أبناءهـا فـور ولادتهـم اعتقـاداً منهـا أنهـا تعيدهـم إلى رحمهـا خشـيةً عليهـم مـن تعرضهـم لأي خطـر محتمـل ، حـين صرخ مهنـد ، بـين ضلوعهـا قبَّلتـه في حنـو و عيناهـا مقروقتـان بالدمـوع، أحـضرت لـه العشـاء وأطعمتـه ثـم حممتـه ووضعتـه في فراشـه وهدهدتـه حتـى نـام، خرجـت مـن غرفتـه إلى الصالـة حيث جهـاز الكمبيوتـر ، أخرجت مـن حقيبتهـا تلـك الاسـطوانة المشـؤومة ووضعتهـا في جهـاز الكمبيوتـر وقامـت بتشـغيلها، مـا إن فتـح الفيديـو حتـى جحظـت عيناهـا ، نعـم هـي كانـت تعلـم مـن مـاري محتـوى الاسـطوانة لكـن المعرفـة شيء والرؤيـة بالعـين شيء آخـر، أن تـرى نفسـك وأنـت ترتكـب إثمـاً تشـعر بالتقززوالرغبـة في التقيـؤ، تتسـاءل: كيـف فعلـت ذلـك الإثـم يومـاً مـا؟! وكيف سيسـامحني اللـه عـز وجـل عـلى خطيئتـي تلـك إذا كنـت أنـا لا أقـدر عـلى مسـامحة نفـسي؟! يبـدو أن لعنـة ذلـك الشـخص تـأبى إلا أن تطـاردني طيلـة حيـاتي

رغـم إني تركتـه وابتعـدت عنـه وقطعـت علاقتـي بـه منـذ عـدة أسـابيع برغـم محاولاتـه لبقـائي معـه .

وبينـما تطاردهـا أشـباح الخـوف والنـدم، سـمعت مفتـاح بـاب الشـقة يتحـرك في مكانـه المخصـص لفتـح البـاب وجـدت نفسـها بطريقـة آليـة وبشـكل تلقـائي وسريـع تنتـزع فيشـة الكمبيوتـر مـن مكانهـا تحاشـياً لرؤيـة زوجهـا للكارثـة التـي في الفيديـو، فتـح زوجهـا البـاب ودخـل ليجدهـا جالسـة أمـام الكمبيوتـر بينـما شاشـته مغلقـة فتعجـب قائـلاً ..

- مساء الخير ياحنان، انتي قاعدة قدام الكمبيوتر وهو مقفول؟!

ردت بصوت مرتبك تملؤه الرعشة ..

- مساء النور ياحبيبي، لأ اصل أنا كنت فاتحاه ولسة قافلاه حالاً

جلس مجدي على الكنبة التي بجوار باب الشقة وهو يتأوه ..

- اه يارجـلي، بعـد إذنـك ياحنـان ممكـن تجيبيـلي شـوية ميـة سـخنة اغسـل بيهـم رجليـا ، تعبـان جـداً مـن الوقفـة طـول النهـار

- اه اه طبعاً حاضر ، ثانية واحدة

توجهـت حنـان إلى الحـمام وأحـضرت طبقـاً مـن البلاسـتيك بـه كميـة مـن المـاء الـدافيء ووضعتـه تحـت أرجـل زوجهـا، ثـم اتجهـت إلى المطبـخ وأحـضرت القليـل مـن الملـح واضافتـه للـماء الـدافيء، وجلسـت عـلى الأرض تغسـل قدمـي زوجهـا ، تعجـب مجـدي مـن تصرفهـا فهـو لم يعتد أن تغسـل لـه حنـان قدميـه ، في الواقـع لم تكـن حنـان تقـوم بغسـل قدمـي زوجهـا في هـذه اللحظـة لكنهـا تغسـل ذنوبهـا بهـذا المـاء المملـح المطهـر للجـروح والمريـح لـلآلام والأوجـاع ، سـالت دموعهـا عـلى خديهـا، فتسـاقطت قطراتها الحـارة عـلى قدمـي زوجهـا دون إرادتهـا، لاحـظ زوجهـا بكاءهـا فمـد يـده ورفـع وجههـا ولاحـظ انكسـار عينيهـا اللتـين لم تقـوي عـلي النظـر إليـه !

- مالك ياحنان؟ انتي بتعيطي ؟!

انفتحـت ينابيـع الدمـوع في عينيهـا وزاد بكاؤهـا وكأن كلمـة «مالـك»

قـد لكـزت بداخلهـا جرحـاً أقـوى مـن أن تخفيـه ، ربَّـت عـلى شـعرها وخدهـا ثـم جذبهـا مـن ذراعهـا وأجلسـها بجـواره ومسـح بيـده دموعهـا ..

- في ايـه ياحبيبتـي؟ قلقتينـي عليـكي، في حاجـة حصلـت وانـا مـش موجـود؟ مهنـد كويـس

- لا مفيش حاجة ومهند بخير الحمدلله

- طيب امال في ايه بس ؟

- مفيـش حاجـة بـس اصـلي طـول اليـوم بفكـر في امـي اللـه يرحمهـا أصلهـا وحشـتني اوي

- الله يرحمها ويحسن اليها

احتضنها وربت على ظهرها ثم أردف ..

- تعالي ندخل اوضتنا

- مش هاتتعشى؟

- لأ مش جعان ، تعالي

نهـض مـن عـلى الأريكـة جاذبـاً إياهـا مـن ذراعهـا متجهـاً إلى غرفـة نومهـما فاسـتوقفته قائلـةً ..

- طيب اسبقني انت وانا هاجي وراك

- ماشي ، بس بسرعة ماتتاخريش

قبَّلهـا في شـفتيها قبلـة المشـتاق لشـهد زوجتـه ثـم سـبقها للغرفـة ، تناولـت الطبـق البلاسـتيك وأدخلتـه الحـمام وسـكبت المـاء ، وخرجـت إلى الصالـة متسـللة عـلى أطـراف أصابعهـا، فتحـت جهـاز الكبيوتـر ثـم أخرجـت الاسـطوانة منـه بسرعـة ثـم أغلقـت الجهـاز مـرة آخـرى ، ودسـت الاسـطوانة في حقيبتهـا وأحكمـت إغلاقهـا، ثـم لحقـت بزوجهـا إلى غرفـة النـوم، لاحـظ مجـدي تغيرهـا الواضـح معـه في الفـراش، ولاحـظ أيضـاً شـلال الدمـوع المتدفـق مـن عينيهـا فانزعـج متسـاءلاً ..

- دي مـش قصـة انـك افتكـرتي امـك اللـه يرحمهـا بقـى، كـدة في حاجـة

انتي مخبياها عليا

- معلش يامجدي استحملني، انا نفسيتي تعبانة اليومين دول مش عارفة مالي

- طيب ياحبيبتي تحبي اخرجك بكرة انتي ومهند احنا بقالنا كتير ماخرجناش مع بعض

توقع انها ستسعد بفكرة التنزه تلك والتي لطالما تشاجرت معه بسببها، لكن ما أدهشه أنها رفضت الفكرة وطلبت منه طلباً آخر غريباً عليها وعليه ..

- لأ انا عاوزة منك حاجة تانية، نفسي ازور آل البيت واولياء الله الصالحين

- غريبة، اول مرة تطلبي مني طلب زي دة، بس عموماً حاضر ياستي من عينيا، بكرة اخدك انتي ومهند ونروح نزور الحسين والسيدة زينب

- لا معلش يامجدي انا محتاجة اروح لوحدي، هاودي مهند الحضانة الصبح واروح انا ساعة زمن وهارجع على طول، والحسين قريب مننا يعني مش هاتاخر، وانت روح شغلك عادي ماتعطلش نفسك .

للمرة الثانية يندهش مجدي من رغبة حنان في أن تنفرد بنفسها في تلك الزيارة الروحية ، فساورته الشكوك ، فكر في انها لاتنوي الذهاب لزيارة آل البيت وانها قد تنوي زيارة بيت آخر ليس من بيوت الله، لا لا لا ماذا تقول؟ استغفر الله العظيم، ولكن ما سبب اصرارها على ذهابها بمفردها؟ لماذا اشغل نفسي بتلك الافكار المتعبة ؟ سأتاكد بنفسي إذا ما كان ما أفكر فيه صحيحاً أم أنها مجرد ظنون .

في اليوم التالي نزل مجدي من بيته مبكراً كعادته قاصداً محل عمله بالمدرسة، وبعد حوالي ساعة نزلت حنان وبيدها مهند، أودعته في دار الحضانة وأكملت طريقها، لم تكن تعلم أن مجدي يراقبها من

بعيـد، وأنـه لم يذهـب إلى عملـه مثلـما أخبرهـا .

لاحـظ مجـدي أنهـا ترتـدي عبـاءة وطرحـة سـوداء عـلى غـير عادتهـا، وأنها لا تضـع أيـاً مـن مسـاحيق التجميـل عـلى وجههـا ، ظـل سـائراً خلفهـا ، مشـت عـلى اقدامهـا مسـافة ثلاثـة شـوارع مـن بيتهـم ، اطـمأن قلبـه حـين رآهـا تتجـه ناحيـة مقـام الحسـين، تنفـس الصعـداء مبتسـماً حـين لمحهـا تخلـع نعليهـا وتلـج المسـجد .

حـين ولجـت حنـان المسـجد اتجهـت ناحيـة مقـام الحسـين، ووقفـت تناجـي ربهـا والدمـوع في عينيهـا تـأبى إلا أن تتوقـف وطفقـت تناجـي ربهـا .

- يـارب سـامحني وارحمنـي، انـا عارفـة اني غلطـت، لكـن عارفـة كـمان انـك رحيـم بتسـامح و تغفـر عبـادك الخطائـين، ارجـوك يـارب ماتفضحنيـش ، واسـترني ياسـتار العيـوب وياغفـار الذنـوب، لـو مـش عشـاني يبقـى عشـان ابنـي مهنـد، مـش عايـزاه يكرهنـي في يـوم مـن الايـام أو يحتقـرني او إني اتحـرم منـه ويبعـد عنـي، وجـوزي مجـدي يـارب ، انـت عـارف انـه لـو عـرف عنـي حاجـة زي دي ممكـن يـروح فيهـا انـت عـارف يـارب هـو بيثـق فيـا قـد ايـه دة عمـره مـا شـك فيـا ولا عمـره يتوقـع اني اخونـه، يـارب انـت عـارف المصيبـة الـلي انـا واقعـة فيهـا، حلهـا مـن عنـدك ياحـلال العقـد والمشـاكل، يـارب انـت عـارف اني ندمـت وتبـت حتـى مـن قبـل ماعـرف موضـوع الفيديـو دة، وانـت اعلـم بالضمايـر ومـا تخفيـه السرائـر يـارب العالمـين، اسـترني يـارب مـن فضلـك .

ظلـت تناجـي اللـه وقتـاً طويـلاً للدرجـة التـي لم تلحـظ معهـا الوقـت، ولا وجـود النـاس حولهـا ، انتفضـت فجـأة حـين شـعرت بيـد حانيـة تربـت عـلى كتفهـا الأيمـن، التفتـت فـرأت منظـراً عجيبـاً، رأت رجـلاً ذا لحيـة بيضـاء كثـة يرتـدي جلبابـا أبيـض وفوقـه عبـاءة خـضراء اللـون، وعمامـة بيضـاء، وشـالُ أبيـض ناصـع عـلى كتفيـه، نظـر إليهـا الرجـل نظـرة حانيـة وسـألها بصـوت شـديد العمـق ..

- مالك يابنتي؟ بتبكي ليه؟
- تعبانة ياسيدنا الشيخ، وخايفة وندمانة
- ربنا وحده سبحانه وتعالى قادر يريح قلبك
- ونعم بالله، بس انا غلطت غلط كبير قوي وزعلت ربنا مني
- يابنتي ربنا من صفاته الرحمة والرأفة ، رحيم ورؤوف بعبده بس هو كل اللي عليه انه يتوب ويستغفر ربنا فهو التواب الغفور
- تبت ياسيدنا الشيخ، والله تبت توبة نصوحة
- يبقى اكيد ربنا قبل توبتك بس انتي إياكي ترجعي للغلط تاني
- عمري ما هارجع للغلط تاني ربنا وحده اللي اعلم بنيتي وضميري
- خدي البسي الشال دة واوعى تقلعيه من على كتفك لحد ماترتاحي خالص

خلع الشال الأبيض من على كتفيه ووضعه على كتفيها مبتسماً، فقالت حنان فرحةً ..

- الله، الشال ده لون ابيض بياض غريب ماشوفتوش قبل كدة ، ياااه وكمان حسيت بسلام وراحة وسكينة غريبة، اوعدك اني مش هاقلعه خالص

وبينما كانت تنظر إلى الشال على كتفيها مبتهجة به رفعت ناظريها وإذ بالشيخ قد اختفى

- بسم الله الرحمن الرحيم، انت روحت فين ياسيدنا الشيخ؟!

ولما لم تجده عادت ونظرت إلى الشال فلم تجده على كتفيها فعلمت أنها رأت رؤية ، شعرت بعدها بطمأنينة، وكأن هذه الرؤية رسالة أرسلها الله لها ليعلمها أنه قد قبل توبتها وسامحها ، تبدلت ملامحها الحزينة و عيناها المهمومتان إلى ملامح أكثر بهجة واشراقاً و عينين تلمع فيها الابتسامة ، وعادت الى بيتها وكأن جبلاً ثقيلاً قد ابتعد من على صدرها .

# 23

أرادت يسرا أن تتخلص من كل ما يذكرها بحازم أو بالأحرى بخطيئتها معه، جمعت كل هداياه واسطواناته التي اهداها إليها في عيد ميلادها مع قطه الذي تحبه «مشمش» ووضعتهم في سيارتها واندفعت بها كأنها هاربة من شيء ، ظلت تسير بسيارتها في الطرقات ووسط السيارات وأضوائها الكاشفة حتى وصلت إلى منطقة نائية ، على جانب الطريق أوقفت محرك سيارتها، وترجلت منها، وأخرجت الصندوق الأسود الذي كان يحوي النقطة السوداء في حياتها ، تناولت الاسطوانات بما فيهم الاسطوانة التي أعطتها لها ماري والتي أسمتها اسطوانة «الهم» ، وقامت بتكسيرهم جميعاً إلى أجزاء صغيرة ، وأضافت إليها الدمى والهدايا الأخرى والتي كانت يهديها إليها حازم بمناسبة وبدون مناسبة، ثم أشعلت عوداً من الثقاب وألقته عليها بعد أن وضعت قطرات من البنزين عليها، وقفت تشاهد اللهب يتزايد ويتراقص الرقصة الأخيرة، لم تتحرك حتى تأكدت بأن كل شيء قد احترق تماماً وصار رماداً، بقى لها «مشمش» آخر ما تبقى من ذكرياتها معه ، فكرت أن تلقيه في الشارع وتتركه لمصيره ، وبالفعل أخرجته من السيارة ووضعته على الأرض ، نظر القط حوله ليجد نفسه وحيداً وسط هذا الظلام الحالك والفراغ الموحش، نظر إليها وأصدر مواءً بنبرة معينة كأنه يستعطفها ألا تتركه هنا وحيداً، نظرت إليه نظرة وداع وركبت سيارتها وأدارت المحرك واندفعت بسرعة خوفاً من اشفاقها عليه ، ازداد مواء القط حين رآها تبتعد بسيارتها ، نظرت إليه في المرآة بالجانب الأيسر ولاحظت علامات الذعر على وجهه ولازالت عينيه معلقة عليها كأنه يناديها «عودي خذيني معكِ ارجوكِ» رق قلبها لنظراته المستجدية فلم تستطع أن تكمل سيرها، وعادت بسيارتها خطوتين للخلف، ترجلت،

وحملت القط بين ذراعيها وربتت على شعره وقبّلته باكية ثم أعادته للسيارة ، اندفعت بسيارتها بسرعة كبيرة ، نظرت إلى نفسها في المرآة الأمامية باحتقار شديد، فلقد فقدت احترامها لنفسها، تساءلت .. كيف وافقت رجل غريب على تسليمه جسدي؟ كيف تمكن ذاك الوغد مني إلى هذا الحد؟ كيف أمكنه التأثير عليَّ لدرجة الانسياق ؟ دموعها تنهمر من بين جفنيها بغزارة بالدرجة التي غشت عينيها وحجبت عنها الرؤية ، تداخلت الأصوات في أذنيها، صوت زوجها وهو يلقي عليها يمين الطلاق، يقول لها لا يشرفني أن أربط اسمي باسم امرأة مثلك بعد اليوم، صوت ذاك الشخص المدعو حازم أو حسام من دنس جسدها تسمعه يقول لها انتِ ملكي أنا، فيرتعش جسدها، صوت أمها وعمها وهم يصيحون في وجهها.. أين اخلاقك يابنت الصعيد المهذبة ؟ كيف سمحت لنفسك بأن تضعي رؤوسنا في الوحل وتجعلي سيرتنا علكة في فم كل الناس.

وفوق كل تلك الأصوات العالية علا صوت الضمير الذي لم يكف عن تأنيبها ووخز قلبها بإبر مسنونة وخناجر حادة ، لم تعد تقوى على سماع المزيد فأرادت أن تُسكِت كل تلك الأصوات بداخلها، وضعت يديها فوق أذنيها، وخبطت رأسها مرتين متتاليتين في عجلة القيادة كأنها تجبرهم على السكوت أو كأنها تطردهم من رأسها ، بدأت سيارتها في الترنح يميناً ويساراً، لم تلحظ الاشارة الحمراء عند مفترق الطرق ، فوجئت بسيارة نقل ثقيل تظهر أمامها فجاة من ناحية الشمال، حاولت تفاديها لكنها قد تأخرت، ارتطمت بالسيارة النقل ارتطاما مدويا تسبب في انقلاب سيارتها ثلاث مرات ، إلى ان استقرت السيارة على سقفها ، هرول السائقين والمارة نحوها محاولين انقاذها واخراجها من بين حطام السيارة مرددين عبارات مثل .. لا حول ولا قوة الا بالله، ايه اللي خلاها تمشي بالسرعة العالية دي لدرجة انها

ماوقفتش عند الاشارة!

اخرجوها من سيارتها بصعوبها والدماء تسيل من رأسها وأنفها، نقلوها الى المستشفة فاقدة الوعي، فور وصولها المستشفى أدخلوها حجرة الطواريء ومنها حجرة الإفاقة ، قاموا بالإسعافات اللازمة، ثم أدخلوها غرفة العناية المركزة، أبلغوا أهلها بالحادث البشع الذي تعرضت له، فأتوها جميعا فزعين، أمها واخوتها وعمها ، وقفوا ينظرون إليها من خلف الزجاج الشفاف باكين غير مصدقين أنها ترقد على فراش الموت ، لم يُسمح لأحد منهم بالدخول إليها نظراً لخطورة حالتها ، خرج الطبيب بعدما وضعها على جهاز ضبط نبضات القلب قائلاً ..

- إن مرت ثمانية وأربعون ساعة وهي لازالت على قيد الحياة؛ إذن فهي قد تجاوزت مرحلة الخطر، ادعوا لها بالشفاء، فهي الان بين يدي خالقها ولا نملك شيئا سوى الدعاء لها .

جلست أمها أمام غرفة العناية المركزة تمسك بيدها القرآن وتقرأ لها صورة ياسين والمعوذتين ، أمها التي لطالما ترجتها ابنتها أن تاتي من بلدتهم لتعيش معها لتؤنسها في وحدتها والتي دائما ما كانت ترفض متذرعة في ذلك بكرهها لمدينة القاهرة وازدحامها وضوضائها ، وهاهي تجلس الآن بجوارها لا يفصل بينها وبين ابنتها سوى ذاك اللوح الزجاجي تتمنى لو أفاقت ابنتها من غيبوبتها فلن تتركها وحيدة بعد ذلك ابداً، ووقف أخيها وأختها يدعوان لها بالشفاء ، أما عمها والذي لايزال لا يصدق عينيه التي ترى طفلته المدللة ممدة على سرير صغير بالعناية المركزة لا يفصل بينها وبين الموت سوى رفة رمش ودقة قلب ترتسم خطوطه المتعرجة على شاشة صعوداً وهبوطاً مع صوت متقطع يصدر من جهاز يصل بجسدها بمجموعة أسلاك تنبيء بالخطر وباقتراب الموت منها .

تشعر يسرا بكل من حولها، إنها تميز كل صوت من الأصوات جيداً،

صوت أمها وهي تقرأ عدية ياسين والمعوذتين، صوت أختها وأخيها وهما يدعوان لها بالشفاء ويرددون كلمة «يارب» ، صوت عمها وهو ينتحب من أجلها خوفاً عليها ـ تسمعهم بوضوح وترد عليهم وتناديهم بأسماءهم لتطمنهم عليها ولكن صوتها لا يصل إليهم ، تشعر أن بينها وبينهم هوة كبيرة تحول دون تواصلها معهم ، ثم تعود تحدث نفسها قائلةً ..

- اكتشفتُ اليوم حين قاموا بفحصي طبياً وحللوا دمي ليتعرفوا على فصيلته؛ أن ما يسري في عروقي ليس دماً، ليس دماً على الاطلاق ، إنه مادة اخرى ليست لها لزوجة كالدم، ليست لها كرات حمراء وأخرى بيضاء، ولا صفائح دموية أو بلازما، ليست A او B اوo او AB ، ليس سائلاً لونه أحمر قاني، ليس له لون من الاساس، انه كالبخار شفاف بلا لون، كالهواء بلا رائحة، كالماء بلا طعم ، شيئاً جعلني حين انقلبت بي السيارة ثلاث مرات وارتطمت رأسي بعجلة القيادة ثم بالأرض ثم بعجلة القيادة مرة أخرى، جعلني لم أمت ، بل صرت أُحمل على الأعناق إلى أعلى ، حملني رجلين بأجنحة وأجيام بيضاء، ظللت عالقة بين السماء والأرض لقرن من الزمان أو يزيد، لا أهبط على الأرض ولا أريد أن أهبط ، شيئاً غريباً جعلني في حالة تحليق ممتع، خفيفة كروح بدون جسد، أو كريشة في مهب الريح، أتساءل.. هل مِتُّ أنا الآن أم إنني لازلت على قيد الحياة؟ لماذا لم أعد أشعر بكل تلك الآلام التي كانت تمزق جسدي وتأرق نفسي وتغص في قلبي؟! هل شفيت منها؟ أم أن روحي قد انفصلت عن جسدي الفاني؟ وإن كانت الاجابة الثانية هي الأصح لماذا إذن لم تذهب روحي إلى مكان راحتها؟ لماذا أنا عالقة هنا؟ أين الجنة وأين الجحيم؟ ولكنني ومع هذا لا أشعر بالحيرة أو بالوحدة أو بالخوف أو بوحشة الانتظار، كل ما أشعر به الآن هو السلام والهدوء والاستسلام التام لهذه الراحة التي افتقدتها

لسنوات، وأتمنى لو كانت هي الراحة الابدية .

***

قطع أحمد عمله وجاء على أول طائرة قادمة إلى مصر بعد أن كان ينوي العودة في نهاية الشهر والذي بقى على موعده ثلاثة أسابيع كي تنقضي مدة انتهاء عقده ولا يتعرض للخسارة المادية الفادحة إذا ما قام بفسخ عقده قبل موعد انتهاءه ، فكر في إنه فيما سينفعه المال إذا ما فقد يسرا حب عمره، لم يشغَل باله في هذه اللحظة إلا يسرا والتي تسكن في القطعة اليسرى من صدره، فور وصوله للمستشفى صار يجري كالمجنون باحثاً عنها في كل الغرف إلى أن علم أنها في غرفة العناية المركزة، ترجى الطبيب كثيرا حتى سمح له أخيرا بالدخول اليها، ما إن رآها ترقد على السرير كالأموات حتى تسمر في مكانه ولم يشعر إلا بدموعه وقد انهمرت على خديه وخانته قدماه وكاد يسقط عل الأرض لولا انه تماسك، وخطا خطوتين إلى مؤخرة السرير وترك نفسه يهبط تحت قدميها، أمسك بيدها التي تتصل بالأسلاك المتصلة بجاز ضبط نبضات القلب ، قرب يدها إلى فمه ولثمها، وزاد في البكاء، رفع ناظريه إليها واقترب منها وحدثها ..

- سامحيني يايسرا، حقك عليا ، أنا اكيد السبب في اللي حصلك دة ، بعدي عنك واهمالي ليكي وطموحي في السفر وإثبات ذاتي عموني عنك، بس صدقيني ، أوعدك انه من اللحظة دي مش هاسيبك تاني ياحبيبتي، قومي يايسرا انا محتاجلك ، ماتسيبينش، اتمسكي بالحياة عشان خاطري، ، اللي انتي ماتعرفيهوش إن روحي متعلقة بيكي، لو موتي هاموت في اللحظة اللي روحك هاتفارق فيها جسمك، ارجوكي ماتموتيش، انا عارف انك سامعاني وحاسة بيا وعارف ان قلبك الكبير هايسامحني ويغفرلي جرمي في حقك، وساعتها هاعوضك عن كل لحظة عشتيها في وحدة وتعاسة بسببي، انا رجعتلك اهو ياحبيبتي ونفسي

تفوقي وتكلميني، نفسي اسمع صوت ضحكتك اللي كانت بتنور وشك ودنيتي، قومي عشان ولادنا اللي هانخلفهم واللي هايملوا علينا البيت ومش هانعرف نقعد من شقاوتهم، مش كنتي دايما بتقوليلي انا نفسي نخلف دستة عيال وانا اقولك لأ كتير دستة خليهم نص دستة كفاية وانتي تقوليلي لا مش هاتنازل عن الدستة ، دلوقتي انا اللي بقولك نفسي تخلفيلي دستة عيال وكلهم يبقوا شبهك ياحبيبتي .

ثم انحنى مقبلاً يدها، وعلى صوته بالنشيج، فشعر أن سبابتها تتحرك بين يديه، ظن في بادئ الأمر أنه يتوهم ذلك من فرط لهفته على استفاقتها، ولكن حين رفع وجهه ونظر بدقة ليدها تأكد أن ما شعر به صحيحاً وأنها بالفعل تحرك سبابتها ببطء ، انتفض مهللاً صارخاً .. يسرا ، يسرا انتي سمعتيني واستجبتي ليا ، شكراً ياحبيبتي ، وشكراً ليك يارب ، بدأت تحرك باقي أصابع يدها ثم أصابع قدميها ثم جفنيها ، وكلما رآها أحمد تتحرك شيئا فشيئا يزداد في شكره لله ولها، ويعلو صوته أكثر فأكثر حتى وصل صوته إلى مسامع كل من كان ينتظرها خارج غرفة العناية المركزة ، وهرولوا جميعاً إلى داخل الغرفة، وعندما شاهدوها تحرك أطرافها فرحوا جميعا وشكروا الله على استجابته لدعائهم ، دخل الطبيب والممرضة وطلبا منهم الخروج من الفرفة وقال الطبيب ..

- حمدالله على سلامتها، بس من فضلكوا اخرجوا استنوها برة هي لسة تعبانة ومحتاجة تفضل تحت الملاحظة يوم كمان لحد مانتطمن انها تقدر تخرج من المستشفى .

الشر له نهاية

# 24

رقـص قلبـه بـين ضلوعـه وزادت دقاتـه مـع دقـات رنـين هاتفـه المحمـول حـين أضيئـت شاشـته باسـم مـاري "حـب عمـره" مثلـما يسـميها عـلى الهاتـف، رد متلهفـاً ..

- مـاري، أخـيرا ياحبيبتـي ، انتـي فـين ياقلبـي؟ انـا محتاجلـك ومـش عـارف ألاقيـكي

ولكـن بهجتـه باتصالهـا بـه انتهـت عنـد هـذا الحـد، وتبدلـت بصفعـة قويـة و بصدمـة مروعـة قطعـت فـؤاده بمجـرد

أن ردت عليه ماري..

- اهـلاً اهـلاً اسـتاذ حسـام، مـش الأسـتاذ برضـو اسـمه الحقيقـي حسـام عبـد الرحمـن محمـد السـيد؟

عقـدت الصدمـة لسـانه ولم يسـتطع أن يتفـوه بكلمـة واحـدة ، ثـم أردفـت مـاري ..

- ايـه؟ سـكت ليـه؟ كنـت فاكـر انـك هاتقـدر تخدعنـي كـدة عـلى طـول ؟! واني مـش هاعـرف حقيقتـك؟ ماخبيـش عليـك هـي دخلـت عليـا وانـا صدقتـك وانخدعـت فيـك، لكـن ربنـا أراد إنـه يكشـفك قدامـي بـدري قبـل ماتحصـل الكارثـة واتـورط واتجـوزك

- ماري، من فضلك اسمعيني

- سـمعت كتـير منـك وصدقتـك وحبيتـك، لكـن خـلاص كل الحـب الـلي حبتهولـك اتحـول لكـره وغِـل وانتقـام، بـس وعـد منـي مـش هاسـيبك إلا لمـا اخـد حقـي منـك

- إديني فرصة اشرحلك وادافع عن نفسي

- ابقـى دافـع عـن نفسـك قـدام القـاضي لمـا يسـألك عملـت كـدة ليـه في بنـات النـاس، كل سـيديهاتك القـذرة معايـا والبطايـق المـزورة وشـهادة

مستشـفى العباسـية، فاكـر مستشـفى العباسـية ياحسـام بيـه ؟

- انتي بتقولي ايه؟

- بقـول إني عرفـت عنـك كل حاجـة ، عرفـت تاريخـك الإسـود وعلاقاتـك المشـبوهة بالسـتات المتجوزيـن ، للدرجـادي إنـت إنسـان قـذر ومعندكـش ضمـير ؟! بتضحـك عـلى السـتات وتعمـل معاهـم علاقـات جنسـية وكـمان بتصورهـم وهـما معـاك في السريـر ! دة ايـه القـرف دة يابـن سـيادة النايبـة المحترمـة

اتجـه مسرعـاً إلى خزنـة نقـوده والتـي كان يحتفـظ فيهـا بأوراقـه السريـة، وفتحهـا فوجدهـا خاليـة تمامـاً إلا مـن النقـود ومسدسـه ، فوقـف أمامهـا مشـدوها .

- انتي، انتي وصلتي للأوراق اللي معاكي دي ازاي؟

- هـو دة كل الـلي هامـك؟ وصلـت لـلأوراق ازاي؟ ومـش هامـك اني عرفتـك عـلى حقيقتـك ؟ بكـرة الصبـح ورقـك واسـطواناتك هايكونـوا عـلى مكتـب وكيـل النيابـة ، يـلا بقـى سـلام كفايـة عليـك الدقايـق دول وفوقهـم الشـهور الـلي عـدت مـن عمـري معـاك .

وبينما كانت تهم بإغلاق الخط عاجلها حسام ..

- كلمة اخيرة ياماري من فضلك

- نعم

- انتـي عنـدك حـق تكرهينـي وتبقـي مـش طايقـة تبـصي في خلقتـي تاني لكـن حتـى المحكـوم عليـه بالاعـدام بيسـألوه نفسـك في ايـه قبـل مايعدموه، وانـا مـش طالـب منـك غـير طلـب واحـد بـس هـو إني اقابلـك لآخـر مـرة ، واحكيلـك كل حاجـة ، صدقيـي واللـه العظيـم انـا اتغـيرت مـن يـوم ماحبيتـك وكل مـرة كنـا بنتقابـل فيهـا كنـت ببقـى نفـسي اقولـك عـلى كل حاجـة بـس كنـت خايـف لتسـيبيني بعـد ماتعـرفي حقيقتـي

- آه فقولـت اسـكت بقـى ومـا أقواهـش واخليهـا عـلى عماهـا لحـد

مانتجـوز وسـاعتها ابقـى حطيتهـا قـدام الأمـر الواقـع

- واللـه العظيـم انـا خبيـت عنـك عشـان بحبـك وخايـف اخـسرك ودي الحاجـة الوحيـدة الـلي مابكدبـش عليـكي فيهـا، إني بحبـك فعـلاً، ونفـسي تكـوني مـراتي ونعيـش مـع بعـض طـول العمـر

صمت قليلا ليسمع ردها لكنها لم تجبه فأردف ..

- عـلى فكـرة انـا مـش هاممنـي النيابـة والا المحكمـة ولا السـجن ولا حتـى الإعـدام لإني اسـتاهل كل دة واكـتر، لكـن انـا دلوقتـي كل الـلي هامننـي انتـي وبـس يامـاري ، مـش طالـب منـك غـير انـك تسـامحيني وتنـسي الـلي فـات وتعـالي نبتـدي مـع بعـض صفحـة جديـدة، مـن فضلـك يامـاري ماتسـيبينيش، انتـي لـو سـيبتيني هامـوت ، مـاري انـا .....

أثـرت كلـمات حسـام في مـاري وكادت تضعـف لـولا انهـا افاقـت وعادت للهجتهـا الحادة

- خـلاص ماعـدش لـه لزمـة الـكلام ده، وماتفتكـرش إنـك هاتقـدر تأثـر عليـا أوتضحـك عليـا تـاني،

انا عمري ما هاسمحك على اللي عملته فيا

- دة ربنا بيسامح ويغفر ، يبقى انتي مستخسرة فيا انك تسامحيني؟!

- ربنـا يسـامحنا كلنـا، بـس انـا مـش ربنـا انـا بـشر، وانـت مهـما قلـت ومهـما عملـت مـش هاتقـدر تنسـيني انـك خدعتنـي، مـش هاتقـدر تعوضنـي عـن مشـاعري الـلي اديتهالـك حتـى لـو فضلـت تكفـر عـن غلطتـك دي طـول العمـر

تنـاول مسدسـه مـن خزنتـه وجـذب الزنـاد وسـحب طلقـة وقـال لهـا مهـدداً ..

- لو ماسامحتنيش يامـاري انا هاضرب نفسي بالرصاص حالاً

وبرغـم انهـا سـمعت صـوت جـذب زنـاد المسـدس إلا أنهـا لم تصـدق تهديـده فقالـت..

- ولـو، مهـما حاولـت تأثـر عليـا وتخليـني ارجـع عـن موقفـي مـش هاسـامحك ومـش هارجعلـك

- كـدة يامـاري؟ يبقـى ذنبـي في رقبتـك ، وابقـى افتكـري اني حبيتـك واني اتغـيرت عشـانك واني مـت برضـو عشـانك .

ثـم سـمعت مـاري صـوت طلـق نـاري، فزعـت، وظلـت تـصرخ باسـمه غـير مصدقـة أنـه فعلهـا ونفـذ تهديـده ..

- مينـا، حسـام رد عليـا مـن فضلـك ، انـا عارفـة انـك بتهـددني وانـك مـش هاتقتـل نفسـك فعـلاً .

ولمـا لم يأتهـا رد هرولـت مسرعـةً إلى شـقته ، فتحـت البـاب وجالـت ببصرهـا سريعـاً في الصالـة فلـم تجـده ، إتجهـت إلى غرفـة نومـه، صعقـت وجحظـت عيناهـا حـين وجدتـه ملقـى عـلى الأرض مضرجـاً بدمائـه، والمسـدس ملقـى بجـواره، صرخـت مـن هـول الصدمـة، اندفعـت ناحيتـه وجثـت عـلى ركبتيهـا وجسَّـت رقبتـه فوجـدت نبضـه متوقفـا تمامـاً، فأدركـت أنـه فـارق الحيـاة، نهضـت وتراجعـت للخلـف بظهرهـا خطوتـين بطيئتـين وهـي تـصرخ ..

- لا لا لا مـش ممكـن ، مـش معقـول ، انـا الـلي قتلتـه ، انـا السـبب ، انـا الـلي قتلتـه

عـادت إلى بيتهـا وجسـدها كلـه بينتفـض، وكل مـا كانـت تنطـق بـه هـو .. انـا السـبب انـا الـلي قتلتـه ، فجعـت امهـا مـن منظرهـا فاحتضنتهـا مسـتفسرة ..

- مـين الـلي قتلتيـه يامـاري؟ في ايـه ياحبيبتـي؟ مالـك؟ وجسـمك كلـه بيتنفـض كـدة ليـه؟ حصـل ايـه ؟

وبينـما تحـاول أمهـا تهدئتهـا سـقطت مـاري عـلى الأرض فاقـدة الوعـي ، فصرخـت امهـا وطلبـت ابنهـا تسـتنجد بـه..

- الحقنـي ياسـامح اختـك بتضيـع منـي هـات معـاك الدكتـور شـوقي

وتعـال بسرعـة

أتى اخوها مسرعاً ومعه الطبيب، وسأل أمه قَلِقَاً ..

- في ايه ياماما؟ ماري حصلها ايه؟

- معرفـش يابنـي كانـت في اوضتهـا وفجـاة خرجـت بتجـري ندهـت عليهـا ماريديتـش عليـا وبعـد شـوية رجعـت وجسـمها بيتنفـض ووقعـت منـي عـلى الأرض

حملهـا أخوهـا والطبيـب ووضعاهـا عـلى السريـر في غرفتهـا ، كشـف عليهـا الطبيـب وعمـل لهـا الاسـعافات الأوليـة حتـى نجـح في إفاقتهـا ، وحـين اسـتفاقت عـادت لرعشـتها والدمـوع تنهمـر مـن عينيهـا ، فقـال الطبيـب

قائلاً ..

- واضـح إنهـا اتعرضـت لصدمـة عصبيـة شـديدة وهاتحتـاج للراحـة والعـلاج ، الحقـن الـلي اديتهالهـا دي حقـن مهدئـة للاعصـاب، هـي محتاجـة تتنقـل للمستشـفى وتقعـد هنـاك لحـد ماتخـف يعنـي مـش اقـل مـن اربـع ايـام لأسـبوع .

- هي حالتها خطيرة للدرجادي يادكتور؟

- والله دة يرجع لقوة احتمالها واعصابها ياستاذ سامح

- طيـب ممكـن نعالجهـا هنـا في البيـت بـدل المستشـفى ؟ حضرتـك شـايف ماما سـت كبـيرة وصحتهـا عـلى قدهـا دي مابتقـدرش تخـرج مـن البيـت بسـبب وجـع رجليهـا، فلـو ممكـن حضرتـك تبعتلنـا ممرضـة تقعـد معاهـا هنـا في البيـت لحـد ماتخـف يكـون أفضـل .

- خـلاص مفيـش مانـع، انـا هابعتلهـا ممرضـة شـاطرة هاتاخـد بالهـا منهـا لحـد مـا تقـوم بالسـلامة إن شـاء اللـه

ظلـت مـاري عـلى هـذه الحـال مدة أسـبوع كامـل ، تسـتيقظ مـن نومها فزعـة وتظـل تـصرخ ولا تهـدأ حتـى تعطيهـا الممرضـة الحقنـة المهدئـة تغـط

بعدها في النوم لعدة ساعات، أما النوعين الآخرين من الدواء فكانت تضعهما لها الممرضة مع الجلوكوز والمحاليل الطبية المعلقة في ذراعها ، وبعد ما مر الأسبوع استعادت ماري هدوءها ولكن هزلت وفقدت القليل من وزنها ، أول شيء طلبته من والدتها هو اعطاؤها ماءً لتشرب ، ناولتها امها كوب الماء ارتشفت منه رشفة واحدة بللت بها شفتيها وحلقها الجافين، قبَّلتها أمها قائلةً ..

- حمدالله على سلامتك ياحبيبتي، كدة برضو تقلقيني عليكي يامرمر ؟ إيه اللي حصل يابنتي خلاكي انهرتي بالشكل دة ؟

استندت ماري على مرفقيها محاولة الإعتدال في جلستها ثم أسندت ظهرها على ظهر السرير

- من فضلك يامامي ناوليني موبايلي من شنطتي

- حاضر ياحبيبتي

اتجهت أمها إلى الكومودينو بجوار السرير من الناحية المقابلة، وفتحت حقيبة ماري وأخرجت منها هاتفها المحمول وناولتها إياه قائلة ..

- انا قفلتهولك من يوم اللي حصلك عشان محدش يتصل بيكي، ماكونتيش هاتعرفي تردي على حد وانتي في الحالة دي، وكمان الدكتور قال إنك لازم ترتاحي ونبعدك عن أي إزعاج .

تناولت منها ماري الهاتف وضغطت زر الفتح وأعادت تشغيله ونظرت في شاشته للتاكد من أن بطاريته لم تفرغ من الشحن، وقامت بإيصاله بكابل الشحن لاستكمال شحنه الذي أوشك على النفاذ، أرادت بعدها أن تتاكد من أن ما مرت به في الفترة الأخيرة كان مجرد كابوس، وأن خطيبها لم ينتحر، وأنها لم تتسبب في انتحاره ، فبدأت في البحث على المواقع الإخبارية الإليكترونية لتجد أن ثمة خبر منذ أسبوع يقول ..

«انتحار شاب في منتصف الثلاثينيات في شقته في ظروف غامضة»

و مرفق مع الخبر صورة الشاب مجهول الهوية ، ثم خبر أحدث منه يقول « الكشف عن هوية الشاب المنتحر في شقته بالزمالك والذي تبين أنه ابن عضوة مجلس الشعب السابقة السيدة نجاح عارف عبدالباري» فتأكدت أنه قد انتحر بالفعل، شعرت بغصة في قلبها، وعاد إلى ذاكرتها مشهدْ و هو ملقي على الأرض في غرفته بشقته والدم يسيل بغزاره من رأسه ومسدسه بجواره، فغابت بعينيها ناظرة في الفراغ ، لاحظت أمها شرودها فسألتها ..

- ماري، ماري

انتبهت ماري لنداء أمها فاجابتها ذاهلةً ..

- هه ؟

- مالك ياحبيتي؟ سرحتي في إيه؟

- بصي كدة بامامي

فقربت ماري هاتفها إلى ناظري أمها مشيرةً إلى صورة الشاب المنتحر وأردفت ..

- شايفة الخبر دة بيقول إيه؟

- بيقول ايه؟ انتي عارفة اني مابشوفش الكتابة على الموبايل من غير النضارة بس انا شايفة صورة شاب واقع على الأرض غرقان في دمه ، ياساتر يارب ، مين الشاب دة ؟

- مش هاتصدقي مين الشاب دة

- حد نعرفه؟

- استعدي للمفاجاة اللي مش سعيدة يامامي ، الشاب اللي انتي شايفاه غرقان في دمه دة مات منتحر، دة يبقى مينا يامامي .

خبطت الأم على صدرها، وصاحت ..

- يا مصيبتي، مينا خطيبك؟!

- ايوة يامامي ، مينا خطيبي، واللي طلع ماسموش مينا أصلا ودة

الـلي انـا كنـت مخبيـاه عنـك الفـترة الـلي عـدت، ولمـا سـألتيني قولتلـك هاقولـك كل حاجـة بـس في وقتهـا، واهـو جيـه وقتهـا عشـان تعـرفي كل حاجـة .

- اعـرف ايـه يابنتـي ؟ ماتفهمينـي ، مينـا انتحـر ليـه؟ ويعنـي ايـه مينـا ماطلعـش اسـمه مينـا؟ انـا مـش فاهمـة حاجـة خالـص .

- مينـا الـلي انـا كنـت مخطوبالـه اسـمه الحقيقـي حسـام عبدالرحمـن محمـد السـيد

- ايه؟ يعني ايه الكلام دة ؟

- يعنـي انـا كنـت مخطوبـة لواحـد نصـاب ومـزور ، انتحـل شـخصية شـخص مسـيحي عشـان يتجـوزني

- لا لا انـا مـش مسـتوعبة الـكلام الـلي بتقوليـه دة ، أكيـد في حاجـة غلـط

- لا ياماما كلامـي مافيهـوش حاجـة غلـط، للأسـف، كل الـلي بقولهولـك صحيـح، انـا اتأكـدت بنفـسي

- يانهـار اسـود يعنـي انتـي دلوقتـي مخطوبـة لواحـد اسـمه حسـام معرفـش مـين دة

- كنـت يامامـي، كنـت، اللـه يرحمـه بقـى، مـش انتـي لسـة شـايفة صورتـه وهـو ميـت !

- طيب هو انتحر ليه؟

- عشـان عـرف اني كشـفته وانـا واجهتـه بـدة ولمـا طلـب منـي اسـامحه وانـا مارضيتـش وقولتلـه اني هابلـغ عنـه البوليـس والنيابـة انتحـر

- معقولة ! انا مش قادرة اصدق اللي بسمعه منك دة

- لا صدقي يامامي لأن هي دي الحقيقة المُرة

- عشان كدة كنتي بتقولي انا السبب انا اللي موته ؟

- ايـوة ، انـا السـبب في موتـه وعمـري مـا هاسـامح نفـسي ، مـين

انـا يامامـي عشـان ماسـامحش إنسـان غلـط وحـس بندمـه ، مـين فينـا مابيغلطـش ؟ ازاي اتسـبب في مـوت انسـان بالشـكل الفظيـع دة ؟

وضعـت مـاري وجههـا بـين كفيهـا وعـلا صوتهـا بالبـكاء ، فاحتضنتهـا أمهـا وربتـت عـلى ظهرهـا

- اهـدي ياحبيبتـي، اهـدي، ماتعمليـش في نفسـك كـدة، صحيـح انتـي غلطتـي انـك اتصرفتـي لوحـدك مـن غـير ماترجعيـلي ولا تعرفينـي انـا واخـوكي الحقيقـة الـلي وصلتيلهـا، لـو كنتـي عرفتينـا مـن الأول اكيـد كنـا اتصرفنـا بطريقـة أفضـل مـن كـدة، وكنـا حلينـا المشـكلة بهـدوء، ومكانـش انتحـر بسـببك، لكـن خـلاص الـلي حصـل حصـل، انـسي الي فـات وهـو اللـه يرحمـه ويسـامحه ، انـا لحـد دلوقتـي مـش قـادرة اسـتوعب إنـه ضحـك علينـا كلنـا وفهمنـا انـه مسـيحي عشـان نوافـق عـلى جـوازك منـه لأ وكـمان ينتحـر عشـان مارضتيـش تسـامحيه، في حـد عاقـل يعمـل كـدة ؟ دة أكيـد مجنـون .

- هـو فعـلاً مريـض عقـلي وكان بيتعالـج في مستشـفى العباسـية مـن خمـس سـنين

- كـمان! لا دانتـي تحمـدي ربنـا انـه خلصـك منـه، بـس ولا كان بايـن عليـه انـه مـش طبيعـي ابـداً، دي أكـتر حاجـة عجبتنـا فيـه لمـا جيـه يتقدملـك إنـه شـاب مـوزون وعاقـل ، ازاي يطلـع مجنـون؟ وازاي مكانـش بايـن عليـه ؟!

- ماهـو زي ماقولتلـك انـه اتعالـج مـن زمـان، يعنـي المفـروض إنـه بقـى طبيعـي وعاقل

- ودي برضـو تصرفـات نـاس عاقلـين ؟ عمومـاً اللـه يرحمـه ، وانتـي فوقـي لنفسـك كـدة وانـسي كل الـلي حصلـك ، وان شـاء اللـه بكـرة ربنـا يعوضـك عنـه بشـاب عاقـل وابـن نـاس يحبـك ويتجـوزك ويصونـك بجـد

- تفتكـري انـا بقـى فيـا روح ولا قلـب احـب تـاني ! ولا بقـى عنـدي

أصلاً استعداد للجواز ! خبطتين في الراس توجع .

- ياحبيبتي انتي لسة صغيرة وقلبك لسة أخضر مايعرفش غير الحب ، واللي حصلك دة تجربة ربنا سمح بيها عشان يعلمك درس ماتنسيهوش طول عمرك ويعلمنا احنا كمان مانتسرعش في الحكم على الناس ونسأل كويس عن اي شاب هايتقدملك بعد كدة

نظرت ماري إلى أمها متنهدة مكتفية بهز رأسها بالايجاب ، فأردفت أمها ..

- يلا قومي خدي حمام سخن على ما ادخل اعملك لقمة كويسة تتقوتي بيها انتي بقالك اسبوع عايشة على المحاليل والأدوية

- حاضر يامامي، اتفضلي انتي وانا هاخرج وراكي على طول

خرجت أم ماري من غرفتها تتمتم بعبارات استنكارية مثل ..

- معقولة اللي حصل دة؟ والله الواحد مش مصدق، الدنيا ياما فيها بلاوي، واللي يعيش ياما يشوف، سترك يارب .

أما ماري فقد عادت وأسندت رأسها إلي ظهر السرير، تجتر ذكرياتها مع مينا منذ أن رأته أول مرة في الشارع مروراً بكل تفاصيل قصة حبهما الجميلة، بما فيها يوم خطبتهما ودخولهما الكنيسة متأبطةً ذراعه في سعادة، لم تكن تعلم أن تلك السعادة عمرها قصير كصاحبها ، كم أحبته وتمنت لو أنها عاشت معه في سعادة حقيقية طيلة حياتها وأن سعادتها معه ليست وهماً أو سعادة مؤقتة ، كم تمنت أن مامرت به من أحداث مؤلمة خلال الأيام الماضية كابوساً ، كم تمنت أن يكون مينا هو مينا وليس حسام ، مينا الذي أحبته ، وليس حسام الذي خدعها ، نعم أحبته ، أحبته ولكنها لم تستطع أن تغفر له خديعته .

قد تغفر المرأة للرجل الذي تحبه خيانته، لكنها أبداً لا يمكنها أن تغفر خداعه لها .!

النهايات قد تكون أفضل من البدايات أحياناً

# 25

في منتصف شهر يونيو أي بعد مرور شهرين ونصف على حادث انتحار حسام، عاد الهدوء إلى حياة كل من النساء الثلاث ، حنان تعلمت الدرس واستوعبته جيداً، أدركت أخيراً أن الأبقى لها في النهاية هو زوجها وابنها، وأن الحب الحقيقي ليس مجرد كلام معسول من رجل يتغزل في جمال جسدها وسحر عينيها وحلاوة شفتيها بل إن الحب أعمق وأعظم من تلك المظاهر الخداعة، أيقنت أن زوجها هو أكثر شخص يحبها ، بل إنه هو الرجل الوحيد الذي يحبها لذاتها ، أدرك هو أيضا أن الحياة الزوجية ليست عملاً شاقاً أو مجرد توفير للاحتياجات المادية من مأكل ومشرب وملبس؛ بل إن المراة تحتاج إلى الأهم من ذلك، فالمرأة كائن رقيق حساس تسعده التفاصيل الصغيرة؛ ككلمة أحبك التي لا تكتفي منها، وكلمة وحشتيني أو اشتقت لكِ، كلمة كل عام وأنتِ بخير يوم عيد ميلاها أويوم ذكرى زواجهما، فالهدايا أيضاً كلمات . خصص مجدي يوماً في الأسبوع لها ولابنهما فقط، لا يعمل فيه أو ينشغل عنهما بأي شيء اخر فاليوم يوم الأسرة يخرجون للتنزه وأحيانا لتناول وجبة الغداء في أحد المطاعم، أو حتى الجلوس في البيت ومشاهدة فيلم رومانسي يعيدهما لذكرى فترة خطبتهما وأول أيام زواجهما، أي أنه تعلم جيداً كيف يسعدها ويَسعَد معها ، بأقل جهد استطاع أن يشعر زوجته بالدفء الأسري الذي طالما افتقدته ، جعلها تشعر بأنوثتها وكينونتها، وأحبت نفسها معه وبه أكثر من ذي قبل، فاجأته ذات يوم برغبتها في الانجاب للمرة الثانية، وأنها تريد أن تنجب بنتاً هذه المرة، وبرغبتها في تسميتها «سمر» ضحك مجدي لتأثرها بالدراما التركية في تسمية أطفالهما وأعرب لها هو أيضا عن مشاركتها في نفس الرغبة وخاصةً وأن مهند أوشك على إتمام عامه الخامس وأنه

يحتاج إلى أخت ليلهو معها .

أما يسرا فاستعادت عافيتها ليست الجسدية فقط وإنما النفسية أيضا، وخاصةً بعد عودة زوجها من الخارج واستقراره بجوارها في وطنه، وهو ماكانت تحتاجه بالضبط، ربما كان لحادث السير الذي تعرضت له عظيم الأثر والفضل في لم شملهما من جديد، «وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم» ، شيئٌ آخر وحدث جلل جعلها تشعر بكينونتها وبأهمية وجودها في الحياة وبأنها لم تخلق لتكون امراة وزوجة فقط ولكن لتكون أماً ايضا، حيث بدأت تنمو في أحشائها نُطفة صغيرة حركت معها غريزة الأمومة ، أرسل الله لها روحاً تعلقت بها روحها وجسداً يتغذى من جسدها وقلباً ينبض بجوار قلبها يدغدغ مشاعرها ويزرع بداخلها الاحساس بالمسئولية حين تنضج وتخرج من أحشائها إنسانا كاملاً تجتمع فيه مزيج من الصفات بينها وبين زوجها الذي تحبه، وشكرت الله على هذه الهدية الرائعة التي أرسلها لها من السماء، أحمد أيضا لم يصدق أذنيه حين زَف إليه الطبيب خبر حمل يسرا زوجته وأنها في بداية الشهر الثاني، وأن حملها مستقر، وأن موعد ولادتها سيكون في أول شهر يناير للعام القادم أي بعد ثمانية أشهر من الآن ، شعر هو أيضاً بالمسؤولية، وعاهد الله ثم زوجته أن يرعاها هي وطفلهما القادم أفضل رعاية، وأن يمنحهما كل الحب والاهتمام، وأنه لن يتركهما ولن يبتعد عنهما أبداً .

أما ماري والتي كانت لاتزال تشعر بعقدة الذنب تجاه حسام شاعرةً أنها هي السبب في انتحاره فأرادت أن تتخلص من ذلك الاحساس المؤرق الذي سيطر عليها أياما وليالي جعل منها كائناً أقرب إلى شبح منه إلى إنسان لا ملامح له ولا جسد، فقد فقدت الكثير من جاذبيتها وأصبحت شاحبة الوجه غائرة العينين نحيفة القد، تراها فتكاد لا تعرفها ، نصحتها أمها بالخروج من المنزل، فقد صار لها شهور

لم تـرَ الشـارع إلا لِمامـاً، حتـى أنهـا تركـت عملهـا نهائيـاً ولم تعـد ترغـب في العمـل بـل وفي الحيـاة، أشـارت عليهـا أمهـا بزيـارة أب اعترافهـا في الكنيسـة والتحـدث معـه عـن كل مـا حـدث لهـا في الأشـهر الماضيـة عـسى أن يخفـف ذلـك مـن وطـاة مـا تشـعر بـه مـن ذنـب ، وبالفعلاسـتجابت لنصيحـة أمهـا وذهبـت الى كنيسـة السـيدة العـذراء بحلميـة الزيتـون والتـي تحـرص عـلى حضـور صـلاة قـداس يـوم الأحـد فيهـا منـذ صغرهـا، وهـي نفـس الكنيسـة التـي عُقـد فيهـا حفـل خطبتهـا عـلى مينـا، والتـي قـد انقطعـت عـن المجـيء إليهـا والصـلاة فيهـا منـذ مـا حدث،حـين ولجـت البـاب الداخـلي للكنيسـة تسـمرت في مكانهـا وتوقفـت عـن السـير خـلال الممـر في منتصـف صحـن الكنيسـة والمـؤدي الى مذبـح السـيدة العـذراء والـذي وقفـت يومـاً مـا أمامـه بجـوار مينـا في سـعادة تجيـب الكاهـن في خجـل ب «نعـم» عـن سـؤاله موافقتهـا عـلى خطبتـه، تمنـت لـو أنهـا قالـت لا، لـو أنهـا لم تقابلـه مـن الأسـاس ، لكـن ليـس كل مـا يتنـماه المـرء يدركـه، وبرغـم مـن ارتفـاع درجـة حـرارة شـمس يونيـة إلا أنهـا شـعرت بقشـعريرة تتسـلل إلى جسـدها فـور تذكـر كل التفاصيـل والتـي بـدأت تهجـم عـلى مخيلتهـا بسرعـة البـرق كـما لـو كان كل مـا حـدث لهـا قـد حـدث بالأمـس، حـين رأت شماسـا يـدق بالدفـوف وآخـر يـضرب بالترياتـو مرنمـين مسـبحين، ذكَّرهـا هـذا المشـهد المهيـب بالمشـهد الـذي يشـبهه إلى حـد كبـير مشـهد يـوم خطبتهـا ، لم تتمالـك نفسـها ولم تقـو عـلى تحمـل المزيـد مـن الذكريـات المؤلمـة التـي جعلـت قلبهـا يغـوص في أعـماق أحشـائها ، لم تشـعر بنفسـها إلَّا وهـي موليـة ظهرهـا للمذبـح راكضـة خـارج بـاب الكنيسـة الداخـلي إلى فنـاء الكنيسـة الفسـيح، واتخـذت مـن أحـد أركانـه جلسـة لهـا، وانفجـرت في البـكاء واضعـة يدهـا عـلى أذنيهـا محاولـة صمهـا عـن سـماع المزيـد مـن الأصـوات التـي تلكـز جرحـاً بداخلهـا لا يريـد أن يندمـل، ظلـت عـلى هـذا الحـال قرابـة سـاعتين حتـى انتهـاء طقـوس القـداس وخـروج الكاهـن

والشمامسة وكل المصلين، لمحها الكاهن عند خروجه من باب الكنيسة وهي مكومة بجوار الحائط على المصطبة الرخامية فاتجه نحوها ليعرف من هي ولماذا تجلس هكذا..

- صباح الخير يابنتي

حين سمعت ماري صوته عرفته فرفعت هامتها والدموع تغرق وجهها ، ونهضت ترد التحية ..

- صباح الخير ياابونا

هال الكاهن ما رأى ماري عليه، فهو لم يعتَد رؤيتها بهذه الهيئة المريعة فسألها ..

- ماري! إيه يابنتي مالك؟ ايه اللي حصل لك؟ وبقالك فتره مش بتيجي الكنيسه ليه؟ وإيه أخبار خطيبك؟

أراد الكاهن ان يعرف عنها كل شيء مرة واحدة لانشغاله عليها كل الفترة الماضية، والتي انقطعت فيها ماري عن الذهاب إلى الكنيسة، وهو الذي لطالما اعتاد أن يراها باستمرار في الكنيسة فتاة مرحة مقبلة على الحياة ، مع التزامها الشديد بحضور القداسات والصلوات، حتى في محنتها الأولى وحادث السير الذي تعرضت له قديما والذي أجلسها على كرسي متحرك شهوراً طويلة لم يفقدها إيمانها بالله ولم يغير من هيئتها مثلما يراها الآن، فأجابته بصوت مبحوح ..

- هاحكي لقدسك على كل حاجه ياابونا، أنا اصلاً جاية عشان أقعد معاك واحكيلك

- طبعا يابنتي اتفضلي معايا جوه الكنيسه

في الكنيسة وفي جلسة الاعتراف أخبرت أب اعترافها بكل ما مرت به منذ يوم خطوبتها على مينا وحتى حادث انتحاره بسببها، وبعد أن استفاق الكاهن من هول الصدمة بدأ يبث فيها بعض الكلمات المعزية كالتي يقولها الأب الروحي لابنه او ابنته في تلك الظروف مثل:

إن كل ما حدث لها هو بسماح من الرب، وإن الله لا يسمح بمرور الإنسان بتجربة صعبة إلا ليعلمه درساً ينفعه طيلة حياته، وأيضاً يعطي الله التجربة بقدر احتمالها، ويمنحنا التعزية الكافية للخروج من تلك التجربة بسلام، استطاع أب اعتراف ماري أن يحتويها بتلك الكلمات القليلة في عددها والعميقة في مضمونها، استطاع الأب أن يشجعها على الخروج من تلك الأزمة والعودة لحياتها الطبيعية ، واقترح عليها اقتراحاً جميلاً راق لها، وهو الانغماس في الخدمة الكنسية لأن خدمة الله متمثلة في خدمة عباده هي الشيء الوحيد الذي سينسيها كل ما فات، لأن فضيلة العطاء هي من أعظم الفضائل التي لو تحلى بها الإنسان لمس مردودها الرائع في حياته وفي أسرع وقت، حين انتهت جلسة الاعتراف تلك التي خرجت منها مرتاحة النفس وكأنها اغتسلت من كل همومها الماضية وخلعت عنها رداء الكآبة والحزن ولبست بدلاً عنهما لُباس السكينة والسلام الداخلي ، وعند خروجها من باب الكنيسة صادفت شخصاً تعرفه، وتعجبت من رؤيته في هذا المكان ..

- دكتور يوسف؟! معقولة! ما كنتش متوقعة اني اشوفك تاني، انت بتصلي في الكنيسة هنا؟

- ثم مدت له يدها مصافحةً فمد هو لها يده مستغرباً رؤيتها هو أيضاً ..

- مودمازيل ماري! إزيك، لا في الحقيقة انا مش دايما بصلي هنا، أنا عادةً بصلي في كنيسة الملاك ميخائيل، لكن أب اعترافي هنا وانا بجيله من وقت للتاني ، أبونا بيشوي أكيد تعرفيه

- معقول ! إيه الصدفة الغريبة دي؟ أنا برضو أب اعترافي أبونا بيشوي، ولسة كنت معاه حالاً .

- تبقى مش صدفة بقى ده أكيد ربنا عايز يقول لنا حاجة

تعجبت ماري ..

- تقصد إيه؟

- بصي يا ماري، أنا في الحقيقة عايز أكلمك في موضوع بقالي فتره لكن الوقت والظروف مكانوش مناسبين، بس لما شوفتك دلوقتي حسيت إن ربنا بعتني النهاردة بالذات عشان أشوفك وأقدر أتكلم معاكي بصراحة في الموضوع اللي اترددت كتير إني أكلمك فيه .

- خير؟ موضوع إيه؟

- ماري انا من أول مرة شفتك فيها وأنا معجب بيكي، وسألت كتير عنك وعرفت إنك بنت مهذبه ومتدينه وطيبه وبنت ناس، وحتى بعد ما عرفت منك الظروف اللي مريتي بيها ده ما غيرش فكرتي عنك أو قلل من إعجابي بيكي، بالعكس، يمكن ده اللي خلاني اتمسك بيكي أكتر، لأن البنت اللي تتحمل كل اللي جرالها ده وتخرج من أزمتها بنفس قوتها تبقى بنت جدعه وتقدر تقف معايا في وش الدنيا وأتطمن وهي في حياتي .

ردت ماري بسخرية ..

- قويه ! بيتهيألك

- لأ قويه ، أنا متأكد من ده جداً، اللي مريتي بيه ماكانش سهل، وصعب على أي بنت إنها تتحمله، لكن أنا واثق إنك هاتتخطيه بسرعه، وهاتقدري ترجعي بنفس قوتك.

- شكراً يادكتور على كلامك المشجع ده، عموما أنا خلاص شلت فكرة الجواز دي من دماغي نهائياً، ومن هنا ورايح ها كرس حياتي لخدمة ربنا والناس وبس .

- جميل طبعاً إنك تخدمي ربنا والناس، لكن ده مش معناه إنك تنسي نفسك وحياتك، عموماً أنا مش مستعجل على ردك، خدي وقتك في التفكير، وأنا مستني، ومش هازهق من الانتظار .

مضت ماري في طريقها متعهدة أن تتناسى كل ما مرت به في حياتها

مـن آلام، متخـذةً قرارهـا بـأن تبـدأ حيـاةً جديـدة متمنيـةً مـن اللـه أن تكـون حيـاة خاليـة مـن الأوجـاع .

تـمـت